الأخبار
al-akhbar

السبت 5 أيلول 2026
العدد 5867 السنة الحادية والعشرون
Samedi 5 Septembre 2026 no 5867 21ème année

www.al-akhbar.com

24 صفحة
100000 ليرة

كلمات
إلفريده ييلينيك
حين تنحاز ذاكرة أوروبا إلى فلسطين

وصاية قسرية لإسرائيل على يهود لبنان

أجهزة مجنّدة لإرضاء العدو وتجاهل 17 ألف مفقود

غموض حول «علي الطاهر» ونتنياهو يستثمر انتخابياً

3 - 2

«قوس» إسرائيلي في أفريقيا

10

(من الويب)

قضية اليوم

غموض حول وجود العدو في علي الطاهر: سيطرة فعلية أم جزئية؟

لا يبدو المشهد محسوماً بالمعنى الميداني، فإعلان العدو «السيطرة العملياتية» على تلة علي الطاهر «فوق الأرض وتحتها»، ترافق مع غارات على الموقع ومحيطه، فيما تفيد معلومات بأن القوات الإسرائيلية لم تدخل إليها بالكامل. لكن الأمر له أهمية خاصة في ضوء التطورات المتسارعة، حيث تبدو إسرائيل معنية بتحويل ما تعتبره إنجازاً عسكرياً إلى مادة في الحملة الانتخابية لحكومة بنيامين نتنياهو من جهة، وورقة تفاوضية قبل استئناف المفاوضات، بعدما أبلغ رئيس الجمهورية جوزف عون السفير الأميركي ميشال عيسى أن وفد السلطة سيكون موجوداً في روما بعد عشرة أيام.

وتريد إسرائيل أن تدخل هذه الجولة من موقع مختلف عما كانت عليه قبل التطورات الأخيرة. ويأتي حدث علي الطاهر ليضيف مرتفعاً ذا قيمة عسكرية وجغرافية إلى شبكة المواقع التي تحاول تل أبيب تكريسها. والمشكلة بالنسبة إلى لبنان لا تكمن فقط في السيطرة على نقطة مرتفعة، بل في احتمال أن تتحول هذه النقاط مع الوقت إلى منظومة أمنية متصلة، تتيح لإسرائيل مراقبة الحركة في العمق اللبناني والتحكم بممرات ومناطق واسعة من دون الحاجة إلى إعلان احتلال شامل. وهذا تحديداً ما يظهر في كلام وزير حرب العدو يسرائيل كاتس، الذي أكد بقاء قواته في ما تسميه إسرائيل «المنطقة الأمنية»، وربط الانسحاب منها بالتحقق من نزع سلاح حزب الله بالكامل. وهذا المنطق لا يبدو محصوراً بالحكومة الإسرائيلية الحالية، إذ طرحَ المرشح لرئاسة حكومة العدو غادي أيزنكوت الإبقاء على حزام أمني بعمق يتراوح بين 8 و10 كيلومترات داخل لبنان، في إشارة إلى وجود نقاش إسرائيلي أوسع حول تثبيت منطقة عازلة.

وكشفت التسريبات الإسرائيلية أن عملية علي الطاهر بدأت ليل 14 حزيران، ضمن خطة هدفت إلى فصل شبكة الأنفاق الموجودة في المرتفعات عن النبطية ومحيطها. ولم يتجه جيش الاحتلال إلى اقتحام سريع، بل فرض طوقاً طويلاً حول المنطقة، قبل أن يعلن استكمال السيطرة عليها بعد أكثر من 14 أسبوعاً. وبحسب تقرير لصحيفة «معاريف»، جاء هذا الحذر خصوصاً بعد إصابة دبابة قائد الكتيبة المدرعة 52، المقدّم دور غداليا بن شمعون، قبالة بلدة الطيبة، ليل 18 و19 حزيران. وأدّى الاستهداف، وفق الرواية الإسرائيلية، إلى مقتل قائد الكتيبة وثلاثة جنود آخرين. بعد هذه الضربة، أصبحت حماية القوات جزءاً أساسياً من إدارة المعركة. ولذلك، اعتمد العدو على القصف عن بعد، وأوكل المهمة إلى وحدات الهندسة، والأنظمة الروبوتية المخصّصة لمسح الأنفاق، بدل إدخال جنوده في مواجهات مباشرة داخل شبكة معقدة تحت الأرض. وبحسب ما نقلته الصحيفة، ضمت الأنفاق غرف عمليات واتصالات وعيادات ومرافق لوجستية، واستخدمت مركزاً للقيادة والسيطرة.

ومن هنا تصبح عودة المفاوضات إلى روما أكثر تعقيداً. فلبنان لن يكون أمام بحث تقني في انسحاب من مواقع محددة، بل أمام محاولة إسرائيلية لتكريس تعريف جديد للأمن في الجنوب. وفي السياق، يأتي الموقف الأميركي من مصير قوات «اليونيفيل» ليضيف بعداً آخر إلى الصورة. إذ قال المتحدث باسم وزارة الخارجية الأميركية إن واشنطن تعتبر أن «اليونيفيل» فشلت في أداء مهمتها، وأن سبع جولات من الصراع وقعت خلال مدة وجودها، وقد أقام حزب الله بنية تحتية عسكرية ضخمة في محيط مواقعها. مكرراً رفض بلاده التمديد للقوة بعد انتهاء ولايتها نهاية السنة الجارية. وهو موقف جاء بعد ساعات على انتشار معلومات تحدثت عن نشاط فرنسي يستهدف الوصول إلى صيغة لخلق قوة دولية جديدة مكان اليونيفل، وهو أمر لا يمكن فصله عن النقاش حول مستقبل الترتيبات الأمنية في الجنوب، لأنه يشير إلى أن واشنطن تريد كما العدو، إنهاء أي أثر للقرار 1701 ومندرجاته. كما تريد واشنطن بحسب موقف المتحدث باسم الخارجية، تغيير الواقع الذي سمح ببناء بنية عسكرية قرب مواقع اليونيفيل، فيما تريد إسرائيل ترجمة هذا الخلل إلى حق دائم في التحرك والبقاء داخل الأراضي اللبنانية إلى حين تحقيق شروطها.

(الأخبار)

السلطة تتجنّد لتنفيذ طلبات العدو وترفض السؤال عن بقية مفقودي الحرب

من هم اليهود الذين تريد إسرائيل استعادة رفاتهم؟

بعد مرور 51 عاماً على اندلاع الحرب الأهلية في لبنان، و35 عاماً على توقّفها، لا تزال السلطات المتعاقبة والأحزاب اللبنانية ترفض فكرة تشكيل لجنة تحقيق تتولّى البحث في باطن الأرض عن جثث أكثر من 17 ألف لبناني لا يزالون في عداد المفقودين. وعلى مدى عقود، عملت السلطات والأحزاب الكبرى، ولا سيما الكتائب والقوات اللبنانية، على رفض أي محاولة جدّية للبحث عن المقابر الجماعية التي يُعتقد أنّها تضم آلاف اللبنانيين الذين جرى تصفيتهم على خلفية انتمائهم الطائفي، خلال سنوات الحرب، على أيدي أحزاب «الجبهة اللبنانية».

لكن حين تكون السلطة خاضعة للوصاية الخارجية، كما هي حال السلطة الحالية بقيادة الرئيس جوزيف عون ومساعده الحكومي نواف سلام، فإنّها تبدي كل استعداد لنبش كل مقابر لبنان، والتنقيب في أي بقعة، كرمى لأعين الأميركيين والإسرائيليين، بحثاً عن رفات يهود لبنانيين وليس عن رفات جنود إسرائيليين فُقدوا في لبنان. وهو ما يؤكّد، كما في كل محطة، أن هذه السلطة ليست فاقدة للشرعية الوطنية فحسب، بل وحتى للأخلاق الوطنية.

وفي آخر تحديث بشأن حقيقة التفاوض بين السلطة اللبنانية والعدو الإسرائيلي حول ملف الأسرى والمعتقلين، كشفت مصادر مطّلعة لـ«الأخبار» أنّ الوفد الإسرائيلي الذي شارك في اجتماعات روما، برئاسة غال هيرش، المسؤول عن ملف المفقودين في إسرائيل، جمع معطيات تتضمّن معلومات أمنية وأخرى صحافية حول يهود فُقدوا خلال موجة الحرب الأهلية التي أعقبت اجتياح عام 1982، ولم يُكشف مصيرهم أو يُعثر على جثثهم حتى اليوم.

وتشمل هذه المعطيات أماكن اختطافهم، وترجيحات بشأن هوية خاطفيهم، فضلاً عن عينات من فحوص الـDNA جرى الحصول عليها من أقاربهم، الذين يقيم بعضهم خارج الكيان الإسرائيلي. وبحسب المصادر، طلب الرئيس جوزيف عون من الجيش اللبناني والأجهزة الأمنية العمل على توفير كل المعلومات المتعلقة بهؤلاء، والتثبّت من المعطيات التي قدّمها الجانب الإسرائيلي، ومحاولة الوصول إلى نتائج، بعدما أبلغت إسرائيل الولايات المتحدة استعدادها للإفراج عن بعض المعتقلين في حال تبيّن لها أنّ لبنان يبذل الجهد المطلوب في هذا الملف.

وبحسب معلومات «الأخبار»، جرى بعيداً من الأضواء عمل ميداني تولّاه الجيش اللبناني والأجهزة الأمنية، أفضى إلى العثور على بعض الرفات، لكنّ المعلومات المتوافرة تشير إلى أنّها لا تعود إلى المفقودين الذين يبحث عنهم الجانب الإسرائيلي. وقد سُلّمت نتائج هذه المرحلة من البحث إلى الجانب الأميركي، الأمر الذي دفع السفير ميشال عيسى إلى جعل الملف مدخلاً لمحاولة كسر الجمود الذي يعتري المفاوضات. وعندما زار عيسى تل أبيب، طلب من بنيامين نتنياهو تقديم خطوة من شأنها مساعدة الرئيس عون وفريقه على المضي قدماً في المفاوضات.

في المقابل، اختار العدو خمسة محتجزين للإفراج عنهم، إلا أنّه أفرج فعلياً عن مواطن من عين عطا، لم يكن توقيفه على خلفية أعمال حربية، بل نتيجة محاولته العبور إلى الأراضي المحتلة، بناءً على اتصالات سابقة مع دروز في فلسطين المحتلة. أمّا الأربعة الآخرون، فكانوا ضمن شاحنة «بيك أب» توجّهت، عن طريق الخطأ، إلى منطقة في وادي الحجير، قبل أن توقفها دورية لجيش الاحتلال وتنقل أفرادها إلى داخل فلسطين المحتلة. وقد أظهرت التحقيقات معهم سريعاً أن لا علاقة لهم بالمقاومة أو بأعمالها. ورفض العدو أن تشمل الخطوة أيّاً من المُعتقلين الذين أُسروا خلال المواجهات في الجنوب، أو إدراج هؤلاء ضمن إجراءات التفقّد التي ينفذها الصليب الأحمر الدولي.

وبينما سعى عون إلى انتزاع هذه الخطوة بما يسمح له بالقول إنّ المفاوضات تحقق نتائج، تحوّل الملف في الجانب الإسرائيلي إلى مادة انتخابية يستثمرها رئيس حكومة العدو في معركته الانتخابية، ولا سيما في محاولة إقناع جمهوره بأنّه لا يدافع عن الإسرائيليين وحدهم، بل عن مصالح اليهود في أنحاء العالم.

ناخبة يهودية تقترع في مركز خاص بالإسرائيليين عام 2018

وفي هذا السياق، نشرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» أمس تقريراً أشارت فيه إلى أنّ «إفراج إسرائيل عن المحتجزين الخمسة كان مقابل تحرّك الحكومة اللبنانية للبحث عن رفات أشخاص من أبناء الطائفة اليهودية، اختُطفوا أو قُتلوا في سلسلة من الحوادث بين عامَي 1984 و1986».

وبحسب التقرير نفسه، يدور الحديث عن أمين سرّ الطائفة اليهودية اللبنانية، البروفيسور ألبرت إيليا، الذي اختُطف في بيروت عام 1971، وكان يبلغ 69 عاماً، وتقول إسرائيل إنّه نُقل إلى دمشق. وفي 15 آب 1984، اختُطف سليم مراد جاموس، البالغ 45 عاماً، والذي كان يشغل منصب الأمين العام للطائفة اليهودية اللبنانية. وبين 29 آذار و20 نيسان 1985، توالت عمليات خطف عدد من أبناء الطائفة، بينهم رئيسها إسحاق ساسون، والطبيب إيلي حلاق، وإيلي سرور، وحاييم كوهين حلالة، وكليمان دانا، وإسحاق تراب. وبقي مصير عدد منهم مجهولاً، فيما ظهرت لاحقاً معلومات عن بعض المخطوفين، أو عُثر على جثامين بعضهم. ففي تموز 1985، اختُطف راوول مزراحي، الذي كان يشغل منصب القائم بأعمال رئيس الطائفة اليهودية، قبل العثور على جثمانه بعد نحو عشرة أيام. وفي كانون الأول من العام نفسه، عُثر على جثمان حلالة، بعدما قُتل برصاصة في الرأس، وعُثر، في 31 كانون الأول، على جثمان تراب.

وفي شباط 1986، اختُطف يهودا بنيستي وابنه إبراهيم، بعدما كان ابن آخر للعائلة، يوسف بنيستي، قد اختُطف في مرحلة سابقة. وتشير الصحيفة إلى أنّ جثمان إبراهيم عُثر عليه لاحقاً، فيما بقي مصير والده يهودا وشقيقه يوسف مجهولاً.

يهود لبنان وإسرائيل

في أغلب التقارير الصحافية التي تناولت يهود لبنان، يرد أنّ معظم أبناء الطائفة الذين غادروا البلاد رفضوا الهجرة إلى فلسطين المحتلة، واختاروا بدلاً من ذلك التوجه إلى فرنسا والولايات المتحدة والبرازيل. أمّا آخر من بقي منهم في لبنان، فقد تراجع عددهم من نحو 9 آلاف شخص إلى أقل من ثلاثين خلال نصف قرن. وكان إسحاق أرازي آخر أبرز الوجوه التي تولّت شؤون الطائفة اليهودية في لبنان. فقد شغل منصب رئيس مجلس الطائفة، وأدار شؤونها وتابع مصالحها القانونية والعقارية بعد انتهاء الحرب الأهلية اللبنانية، بمساعدة المحامي باسم الحوت. وتوفي أرازي في كانون الأول 2023، عن عمر ناهز 80 عاماً.

كنيس وادي أبو جميل

وقبل وفاته، بقي أرازي بعيداً من الإعلام، وانصرف خصوصاً إلى متابعة شؤون الطائفة، وفي مقدّمها ترميم كنيس «ماغين أبراهام» في منطقة وادي أبو جميل وسط بيروت، الذي يُعدّ أكبر كنيس يهودي في العالم العربي، وقد شُيّد عام 1926. كما تابع أوضاع مقبرتين يهوديتين في لبنان. الأولى في بيروت، وهي «مدافن بيت علمين» الواقعة على طريق الشام في منطقة السوديكو، وتضم نحو 3400 قبر تعود إلى عائلات يهودية لبنانية عاشت في بيروت. والمقبرة مُغلقة اليوم بصورة دائمة، ولم تُفتح سوى مرة واحدة في عام 2023، عند دفن أرازي. أمّا المقبرة الثانية، فتقع في صيدا، على شاطئ البحر في القسم الجنوبي من المدينة، وتضم عدداً من القبور التاريخية،

> **معظم يهود لبنان هاجروا إلى الغرب وأقلية سافرت إلى إسرائيل، ولا تزال مقابرهم موجودة في بيروت وصيدا**

لكنها مُغلقة منذ عقود طويلة، بعد هجرة العائلات اليهودية من صيدا بصورة شبه كاملة منذ منتصف القرن الماضي. وقد رُمّمت بعد اجتياح عام 1982، بالتزامن مع ترميم كنيس اليهود في البلدة القديمة، في «حارة اليهود»، وكذلك مقام «النبي صيدون». وهنا تتعدّد الروايات حول هوية صاحب المقام. فمؤرّخون من أبناء صيدا يقولون إنّ اسمه «زبلون» (Zebulun)، وهو، بحسب الرواية التوراتية، أخٌ غير شقيق للنبي يوسف. فيما يرى آخرون أنّ المقام يعود إلى هيكل فينيقي، بينما تذهب روايات أخرى إلى أنّه ضريح أحد الأولياء الصالحين، وفق ما تذكر بعض المراجع الإسلامية.

يُشار إلى أنّ هجرة اليهود من لبنان بدأت تتوسّع في ستينيات القرن الماضي، ثم تصاعدت عشية الحرب الأهلية وخلالها وبعدها، قبل أن تتخذ شكلاً شبه كامل في منتصف ثمانينيات القرن نفسه. إلا أنّ وجهة القسم الأكبر ممن غادروا لبنان لم تكن إسرائيل، بل الولايات المتحدة وفرنسا، فيما توجّه عدد محدود منهم إلى إسرائيل.

وقد كتب عن هذه الهجرة ضابط استخبارات إسرائيلي من أصل لبناني، يُدعى جاك نيريا، وكان من بين القلائل الذين هاجروا من لبنان عام 1969 إلى فرنسا، قبل أن ينتقل لاحقاً إلى إسرائيل ويتطوّع في جيشها. وعمل نيريا مستشاراً لرئيس حكومة العدو إسحق رابين، كما شارك في لقاءات مع قيادات حزب الكتائب والقوات اللبنانية. ونشر لاحقاً كتاباً بعنوان «اللبناني»، انتقد فيه معظم يهود لبنان الذين غادروا بيروت، معتبراً أنّهم رفضوا الهجرة إلى إسرائيل واختاروا بدلاً من ذلك اللجوء إلى دول الغرب والعيش فيها.

(الأخبار)

صلاة قديمة في كنيس وادي أبو جميل

أخطر انتصارات السلطة: حين تقنعنا بأن لا بديل منها!

كريم حداد

ليست أقوى سلطة تلك التي تضرب أكثر، ولا الدولة التي تملك أكبر عدد من الجنود والسجون، ولا الطبقة التي تستطيع فرض إرادتها بالقانون وحده. ثمة شكل أعمق من السلطة يبدأ عندما لا تعود مضطرة إلى إجبار الناس على قبول العالم القائم، لأنهم أصبحوا يرونه العالم الوحيد الممكن. عند هذه النقطة تتحول القوة إلى «حقيقة»، والسياسة إلى «ضرورة»، والعلاقات التي صنعها التاريخ إلى أشياء تبدو كما لو أنها من طبيعة الحياة نفسها.

وهنا تحديداً تبدأ المشكلة التي شغلت، بطرق مختلفة، عدداً من أهم مفكري السلطة في العصر الحديث: ماركس وغرامشي وفوكو وبورديو وغيرهم. فالسلطة لا تستمر بالقسر وحده. ولو احتاج كل نظام اجتماعي إلى شرطي خلف كل مواطن، لما استطاع أي نظام أن يعيش طويلاً. الاستقرار الحقيقي يبدأ عندما يصبح قسم كبير من الخاضعين للسلطة مشاركاً، بوعي أو من دونه، في إعادة إنتاجها.

ومن هنا يمكن فهم واحدة من أهم الأفكار السياسية في زمننا: السلطة تقدم نفسها بوصفها حتمية، والمقاومة تبدأ بإثبات أنها ليست كذلك. كونه من السهل رؤية السلطة في هيئة دبابة أو شرطي أو قرار اعتقال. لكن رؤيتها تصبح أصعب عندما تتحول إلى لغة وعادات وتصنيفات ومؤسسات وأفكار تبدو محايدة. والإنسان يستطيع أن يقاوم أمراً يعرف أنه مفروض عليه. لكن مقاومة الشيء تصبح أصعب عندما يعتقد أنه طبيعي.

حين يقال، مثلاً، إن الأسواق «تطلب» إجراءً معيناً، أو إن الاقتصاد «يفرض» خفض الإنفاق، أو إن الأمن «يقتضي» توسيع المراقبة، أو إن التطور التكنولوجي «لا يمكن إيقافه»، تختفي القرارات البشرية وراء لغة الضرورة. هنا تعمل السلطة بطريقة أكثر ذكاءً من المنع. إنها تضيّق مجال الممكن. بدلاً من أن تقول لك: «ممنوع أن تفكر في البديل»، تجعل البديل يبدو سخيفاً أو طفولياً أو متطرفاً أو مستحيلاً.

كان غرامشي من أكثر من أدركوا هذه المعضلة. فقد وجد أن تفسير السيطرة الطبقية بالقوة الاقتصادية وأجهزة الدولة لا يكفي. لماذا لا تثور المجتمعات باستمرار على علاقات غير متكافئة؟ ولماذا يستطيع نظام اجتماعي أن يعيش عشرات السنين من دون أن يحتاج إلى استخدام العنف كل يوم؟

> **المقاومة ضرورية في مواجهة فكرة تقول للناس اختاروا ما شئتم، لكن العالم سيعاقبكم إن اخترتم خارج الحدود المقررة، وهنا يطل الاستبداد برأسه**

جاء مفهوم «الهيمنة» ليجيب عن ذلك. الطبقة المسيطرة لا تحكم بالقسر وحده؛ إنها تحاول جعل رؤيتها للعالم جزءاً من «الحس المشترك». تنتشر أفكارها في المدرسة والصحافة والدين والثقافة والأسرة واللغة اليومية، إلى درجة أن النظام القائم يبدأ بالظهور باعتباره التعبير المعقول عن الحياة نفسها.

وعندها يصبح الإنجاز الأكبر للهيمنة أن يتحدث المحكوم أحياناً بمفردات الحاكم من دون أن يطلب منه الحاكم ذلك. لهذا أعطى غرامشي للثقافة والتعليم والمثقفين أهمية استثنائية. فالمعركة السياسية لا تقع في البرلمان والمصنع والثكنة فقط. إنها تقع أيضاً في تعريف الكلمات: ما الحرية؟ ما النجاح؟ ما العقلانية؟ من هو المواطن الصالح؟ ما الذي يعد واقعياً؟ وما الذي يصنف خيالاً؟

ثم يأتي ميشال فوكو ليزيد المسألة تعقيداً. فالسلطة عنده لا توجد في الأعلى فقط ولا تتدفق ببساطة من الدولة إلى المجتمع. إنها منتشرة داخل العلاقات والمؤسسات والمعرفة والتخصصات والممارسات اليومية. المستشفى ينتج معرفة عن الطبيعي والمرضي. المدرسة تقيس وتصنف وترتب. السجن لا يعاقب فقط بل يعرّف الانحراف. المؤسسات النفسية والطبية والقانونية تنتج بدورها فئات تصف الإنسان، ثم يبدأ الإنسان بفهم نفسه من خلالها. وهنا تصبح العلاقة بين المعرفة والسلطة حاسمة.

من يملك سلطة تعريف الطبيعي لا يحتاج دائماً إلى معاقبة غير الطبيعي؛ يكفي أن يجعل الفرد يراقب نفسه.

أما بيار بورديو، فيذهب إلى منطقة أكثر خفاءً: كيف تتحول البنية الاجتماعية إلى ميول داخل الأفراد أنفسهم؟ فالإنسان يولد داخل عالم سبق وجوده: لغة، طبقة اجتماعية، مدرسة، أذواق، قواعد سلوك، طرق للكلام والجلوس والاختيار، تصورات عن المهن اللائقة والطموحات المعقولة. ومع الزمن لا تبقى هذه البنى خارجية.

قد يقول: «هذه الجامعة ليست لأمثالي»، أو «هذه المهنة تحتاج إلى نوع آخر من الناس»، أو «السياسة ليست لنا»، أو «هؤلاء ولدوا ليحكموا». وفي هذه النقطة تحقق السلطة إنجازاً بالغ العمق، إذ تنجح في تحويل الحدود الاجتماعية إلى حدود نفسية. وما كان في الأصل توزيعاً تاريخياً للقوة والثروة والرأسمال الثقافي يصبح شعوراً شخصياً بالكفاءة أو عدم الكفاءة.

ولعل العقود الأخيرة قدمت المثال الأوضح على سلطة الحتمية. كانت العبارة الشهيرة «لا بديل» أكثر من شعار اقتصادي. لقد اختزلت فلسفة كاملة للحكم. لم يعد المطلوب إقناع الناس بأن سياسة معينة عادلة، بل إقناعهم بأنها الوحيدة الممكنة. يمكن أن تختلف الحكومات، لكن الأسواق باقية. يمكن أن تتغير الأحزاب، ولكنّ هناك حدوداً لما يسمح به المستثمرون. يمكن للناخب أن يختار، لكن بعض الخيارات توصف مسبقاً بأنها غير واقعية. وهكذا تستطيع الديمقراطية أن تستمر في الشكل فيما يضيق مجال القرار السياسي في المضمون. إنها سلطة فعالة لأنها لا تقول للمواطن: «ليس لك الحق في الاختيار». بل تقول له: «اختر ما تشاء، لكن العالم سيعاقبك إن اخترت خارج هذه الحدود». والفرق بين الجملتين هائل. الأولى استبداد ظاهر، أما الثانية، فتستطيع أن تتعايش مع الانتخابات والإعلام والبرلمانات والحريات الفردية.

بهذا المعنى يمكن فهم طبيعة المقاومة. ومعناها الأعمق هو أنها ليست وعداً بعالم بلا سلطة، فهذا يكاد يكون وهماً، وإنما رفض حق أي سلطة في تقديم نفسها باعتبارها نهاية التاريخ. وكثرة استخدام السلطة للقوة قد تكون علامة على تصدع الهيمنة، فمن يحتاج إلى إقناع الناس بالقوة كل يوم لم يعد قادراً على الحصول على رضاهم بالسهولة السابقة. أما السلطة الأكثر رسوخاً، فهي التي لا تبدو سلطة أصلاً. تسكن في الكلمات التي نستعملها، وفي التصنيفات التي نفكر من خلالها، وفي الحدود التي نضعها لأحلامنا، وفي الجملة الصغيرة التي نقولها لأنفسنا قبل أن نحاول تغيير شيء:

وهنا تكمن الوظيفة الأولى للفكر النقدي. ليس أن يخبرنا بأن كل شيء مؤامرة، ولا أن ينكر وجود القيود والضرورات، بل أن يسأل باستمرار: أي جزء مما نسميه ضرورة هو ضرورة بالفعل، وأي جزء منه علاقة قوة نجحت في التنكر في هيئة ضرورة؟

تقرير

حين تختار الصورة رئيسها
أنا صديق ترامب!

وفيق قانصوه

ثمّة صور لا تحتاج إلى تعليق. يكفي أن تنظر إليها حتى تفهم الرسالة التي يريد صاحب الصورة إيصالها. الصورة التي اختارتها رئاسة الجمهورية اللبنانية لتكون «بروفيل» على صفحتها الرسمية، وتجمع الرئيس جوزيف عون بالرئيس الأميركي دونالد ترامب، تنتمي إلى هذا النوع. هي، للوهلة الأولى، صورة لقاء رسمي بين رئيسين. لكن عند النظر إليها من زاوية أخرى، قد تبدو وكأنها صورة لبناني سعيد الحظ التقى، مصادفة، شخصاً مشهوراً، فاقترب منه، واسترق صورة، ووضعها فوراً على «بروفيله» على «فايسبوك». ولو أن خاصية التعليقات على الموقع مفتوحة أمام القراء، لربّما كنا قد قرأنا تعليقات من نوع «شيخ الشباب» و«عقبال الأعلى» و«كبير وشيخ»... وغيرها.

الفارق الوحيد أن المواطن العادي يضع الصورة على حسابه الشخصي. أمّا هنا، فالصورة مُعلّقة على واجهة رئاسة الجمهورية اللبنانية.

بالطبع، الولايات المتحدة دولة مهمة، وترامب شخصية دولية وازنة، واللقاء حدث سياسي. المشكلة هنا ليست أن رئيس الجمهورية التقى بالرئيس الأميركي، فهذا أمر طبيعي، بل إن الرئاسة اختارت من بين كل صور الرئيس وعلاقاته الدولية واحدةً تجعل اللقاء مع ترامب يبدو وكأنه المشهد التعريفي بالرئيس نفسه. بمعنى آخر: «أنا صديق ترامب» بدل «أنا رئيس لبنان».

إن لم يكن الأمر كذلك، لماذا بقيت الصورة مكانها منذ لقاء الرجلين في تموز الماضي، رغم أن جدول اللقاءات الخارجية للرئيس لم يتوقّف عند بوابة البيت الأبيض؟ فلِمَ لا تكون الصورة مثلاً مع الرئيس الإيطالي أو رئيسة الحكومة الايطالية، أو مع الرئيس اليوناني الذي كان آخر الشخصيات الدولية التي التقاها رئيسنا؟

وبما أن الصفحة الرسمية لرئاسة الجمهورية ليست صفحة علاقات عامة للرئيس، ولا ألبوم صور لأكثر اللقاءات إثارة، ولا صفحة مُعجبين بالرؤساء الأقوياء، فلماذا لا تكون الصورة للرئيس اللبناني منفرداً، مع العلم اللبناني، أو حتى للنافورة الشهيرة في باحة قصر بعبدا؟ وبالطبع لن نسأل، لا سمح الله، لماذا لا تكون لأنقاض قرية جنوبية جرّفها العدو، فهذا النوع من الصور يتعارض مع سياسة «إنهاء حال العداء».

الأكثر إثارة للفضول أن الموقع نفسه يضع في أعلاه صورة رسمية للرئيس اللبناني، ببزّته وربطة عنقه، واقفاً وحده، في هيئة رئيس دولة. وما إن ينزل زائر الصفحة قليلاً، حتى يجد نفسه وقد انتقل من صورة «رئيس الجمهورية اللبنانية» إلى صورة «الرجل الذي يضحك وهو يصافح الرئيس الأميركي». فأيّ الصورتين تريد الرئاسة أن تكون صورتها؟ الأولى التي تقول: هذه رئاسة الجمهورية، أم الثانية التي تقول: هذا الرئيس عندما يكون إلى جانب الرئيس الأميركي.

لا يمكن للصورة وحدها أن تكشف ما يشعر به الأشخاص فعلياً. لكنها، بوصفها لغة بصرية، تقدّم رسالتها بوضوح. وعندما تضع مؤسسة بحجم رئاسة الجمهورية صورة معيّنة في واجهتها، لا تفعل ذلك لأن الصورة جميلة، بل لأنها تقول: هذا ما نريدك أن تراه.

ففي الصور الرسمية، التفاصيل الصغيرة ليست بريئة تماماً. زاوية الكاميرا، المسافة بين شخصين، اتجاه الجسد، وحتى النظرة العابرة، كلها تدخل في صناعة الصورة التي تريد المؤسسة أن تقدّمها للجمهور. فالرؤساء يضحكون، ويتصافحون، ويتبادلون المزاح، لكنّ الدول تختار صورها بعناية.

> **إذا كان المقصود من هذه الصورة إبراز العلاقة الخاصة بين الرجلين فقد فشلت الصورة فشلاً ذريعاً**

في الصورة، نرى الرئيسين يتصافحان جالسَيْن أمام مدفأة فخمة. والمصافحة هنا ليست تفصيلاً عابراً، بل هي مركز الصورة، أي إن هذه هي العلاقة التي ينبغي أن تراها أولاً. من اختار الصورة لم يعنه أن يقدّم صورة لقاء رئيسين متساويين في مجرد مصافحة بروتوكولية، بقدر ما أراد أن يقدّم مشهداً شديد التركيز على القرب الشخصي والحميمي من الرئيس الأميركي. فهل نجحت الرئاسة اللبنانية في ذلك؟

لا تحتاج الإجابة إلى كثير من العناء. فما نراه هنا هو رئيس الجمهورية اللبنانية، في صورة رسمية يُفترض أن تمثّل رئاسة دولة، وقد أصبح الرئيس الأميركي هو مركز الجاذبية فيها، وصاحب الحضور الطاغي، والشخصية التي تتجمّع حولها عناصر المشهد البصرية، فيما يبدو الرئيس اللبناني سعيداً جداً لمجرّد أنه في الكادر. تبدو الكاميرا نفسها وكأنها اختارت طرفاً رئيسياً في المشهد: ترامب الذي يعرف أنه أمام جمهوره، وعون الذي يبدو وكأنه أمام ترامب بلا جمهور. الرئيس الأميركي يحتلّ الجهة اليمنى من الكادر، ببزّته الزرقاء وربطة عنقه الحمراء، بينما يظهر جسد الرئيس اللبناني متجهاً نحو نظيره الأميركي، بوضعية أكثر انفتاحاً واندفاعاً، فيما تمتد يده إلى المصافحة، مع ضحكة «من القلب». ترامب ينظر إلى الكاميرا، أي إلى الجمهور، ولا يحتاج حتى إلى النظر إلى عون كي يحتلّ مركز المشهد. أمّا عون، فيكفي أن ينظر إليه. وهذه هي المفارقة التي تجعل الصورة مُحرجة. فلو نظر الرجلان إلى العدسة لَكان يمكن للصورة أن تكون أهدأ وأكثر توازناً، وأن تجعلهما رئيسين لدولتين يتصافحان. أمّا حين ينظر أحدهما إلى الآخر، فيما يواجه الآخر الكاميرا، فإن الصورة توحي، ولو من دون قصد، بعلاقة مركز وهامش أكثر مما توحي بعلاقة بين ندّين أو صديقين.

وعليه، إذا كان المقصود من هذه الصورة إبراز العلاقة الخاصة بين الرجلين، فقد فشلت الصورة فشلاً ذريعاً، بل ربّما أكثر مما ينبغي.

وحتى لا يذهب النقاش إلى المكان الخطأ، المشكلة ليست في ترامب شخصياً. فلو كانت الصورة مع الرئيس الفرنسي، أو رئيس الحكومة البريطانية، أو الرئيس المصري، أو أيّ أحد آخر، يبقى السؤال قائماً: هل ينبغي أن تكون صورة لقاء ثنائي واحدة هي الصورة التي تختزل رئاسة الجمهورية؟

لكنّ اختيار ترامب تحديداً يضيف طبقة سياسية أخرى إلى المسألة. فوضع الرئيس الأميركي شريكاً بصرياً دائماً في التعريف بالرئيس اللبناني ليس مجرّد اختيار جمالي. بل هو، شاءت الرئاسة أم لم تشأ، رسالة سياسية مفادها: إذا أردت أن تعرف أين يقف رئيس الجمهورية، فانظر إلى الصورة التي اختارها لنفسه.

تقرير

موتٌ إسرائيلي مؤجّل يحاصر الجنوب
57 ضحية للألغام والذخائر غير المنفجرة

زينب حمود

لا تقف مُخلّفات العدوان الإسرائيلي عند حدود الدمار الذي خلّفه القصف في الجنوب. فالألغام والذخائر غير المنفجرة تحوّلت إلى عائق إضافي أمام عودة الأهالي إلى قراهم، وإلى تهديد يرافق أعمال رفع الأنقاض وإصلاح شبكات المياه والكهرباء والاتصالات، ويؤخّر انطلاق ورشة إعادة الإعمار في مناطق واسعة.

ومنذ 8 تشرين الأول 2023، حصدت هذه المُخلّفات، وفق «المركز اللبناني للأعمال المتعلقة بالألغام» (LMAC)، 57 ضحية (14 شهيداً و43 مصاباً) بين السكان الذين توجّهوا إلى ممتلكاتهم أو أراضيهم في مناطق لم تُستكمل فيها عمليات المسح والتطهير، رغم التحذيرات المتكررة من مخاطر الاقتراب من الأجسام المشبوهة. وتكشف بيانات المركز أن المزارعين ورعاة الماشية هم الفئة الأكثر تعرّضاً لهذه المخاطر، إذ يشكّلون 50,8% من الضحايا، يليهم السكان (28,1%)، ثم فرق الإغاثة والصيانة وعمال البلديات وعابرو الطرق والأطفال.

ولا تبدو خريطة الضحايا منفصلة عن خريطة الدمار والعمليات العسكرية. فقد تركّزت الإصابات في قرى الحافة الأمامية، وتحديداً في قضاء بنت جبيل الذي سجّل سقوط 21 ضحية، وقضاء مرجعيون (18 ضحية)، ثم قضاء صور (12) وقضاء حاصبيا والعرقوب (6). بالنسبة إلى الجرحى، توزّعت الأضرار الجسدية بين بتر أطراف (سفلية أو علوية)، وإصابات بشظايا عميقة وتلف عضلي وحروق، وفقدان أو ضعف بصر وسمع، فضلاً عن التشوّهات الجسدية، والصدمات النفسية (PTSD).

3,921 ضحية منذ الحرب الأهلية

الأزمة ليست جديدة. فلبنان يحمل منذ الحرب الأهلية إرثاً ثقيلاً من الألغام والقنابل العنقودية ومُخلّفات الحروب. ووفق قواعد بيانات «المركز اللبناني للأعمال المتعلّقة بالألغام»، بلغ عدد الضحايا المُسجّلين رسمياً منذ عام 1975 نحو 3921 ضحية (928 شهيداً و2993 جريحاً). وقد قطع لبنان شوطاً مهماً في معالجة هذا الإرث قبل اندلاع العدوان الأخير. ويقول عضو «اللجنة الوطنية للتوعية ومساعدة ضحايا الألغام» في LMAC، جواد قاسم، إن البرنامج الوطني للألغام، بإشراف المركز، نجح في تطهير نحو 70,61% من إجمالي المساحات المُعلنة الملوّثة بالألغام الأرضية، و91,66% من الأراضي الملوّثة بالقنابل العنقودية، فيما بلغت نسبة التطهير في المناطق الخطرة والأجسام المتفجّرة 93,39%. وبحسب قاسم، أدّى ذلك إلى «خفض مساحة التلوّث المتبقية إلى نحو 23,19 كيلومتراً مربّعاً، أي ما يعادل 15,35% من إجمالي المساحة الملوّثة تاريخياً».

> **المزارعون ورعاة الماشية هم الأكثر تضرراً والإصابات تركّزت في قرى الحافة الأمامية**

وبينما كانت عمليات التطهير مستمرة وفق خطة استراتيجية وطنية، «أدّت الاعتداءات الإسرائيلية والقصف الكثيف إلى تلويث مساحات جديدة بالذخائر المتفجّرة، بما فيها أراضٍ كانت قد أُعلنت سابقاً مُطهّرة وآمنة». وتزداد المشكلة تعقيداً في البلدات المتاخمة للحافة الأمامية، التي تُصنّف اليوم ضمن ما تسميه إسرائيل «المنطقة الصفراء». وهذه المناطق، وفق قاسم، لا تزال «عالية الخطورة» ويحظر ارتيادها أو العودة إليها، فيما يجعل استمرار المخاطر الأمنية من الصعب تحديد حجم التلوّث الجديد بدقّة، نظراً إلى «الحاجة الماسّة إلى تنفيذ عمليات مسح تقني وغير تقني شاملة لإعادة رسم الخرائط وتحديد النطاق الجغرافي الدقيق للتلوث الجديد».

تحدّيات أمنية ولوجستية وجغرافية

مع بدء سريان وقف إطلاق النار المزعوم، وقبل عودة الأهالي إلى قراهم، بدأ الجيش اللبناني، عبر مديرية الهندسة وبالتنسيق مع LMAC والجهات الأهلية والمحلية، عمليات مسح طارئة وشق للمسارات الحيوية وإزالة الذخائر والأجسام المتفجّرة الظاهرة على الطرق الرئيسية وفي محيط المراكز الخدمية، بهدف تسهيل العودة. غير أن هذه الجهود تصطدم بتحدّيات جسيمة، في مقدّمها، وفقاً لقاسم، «التحدّي الميداني الأمني المتمثّل في استمرار وجود الاحتلال الإسرائيلي وعدم انسحابه الكامل من العديد من القرى والبلدات الحدودية الجنوبية، إضافة إلى استمرار اعتداءاته وقصفه المباشر، ما يعطّل وصول الفرق الميدانية ويضع الكوادر الفنية تحت خطر الاستهداف المباشر». ويضيف قاسم ما سمّاه «تحدّياً خطيراً يتعلّق بالانتشار الكثيف للقنابل العنقودية والذخائر غير المنفجرة أسفل ركام المباني والمُنشآت المدمّرة، ما يجعل عمليات رفع الأنقاض مساراً عالي المخاطر».

وهناك أيضاً تحدّيات لوجستية ومالية، ترتبط بـ«حجم التلوّث المُرتكب والذي يفوق القدرات المُتاحة، ما يخلق نقصاً حاداً في تقنيات وأجهزة التحسّس الحديثة المُخصّصة لكشف الذخائر والشرك الخدعية، والآليات الثقيلة للتعامل مع الركام، الأمر الذي يتطلب توفير الدعم المالي لتغطية الكلف التشغيلية وإمداد الفرق بمستلزمات (الجاهزية وحماية المجتمع)، وتكثيف برامج بناء القدرات». كما يبرز التحدّي الجغرافي المتمثّل بـ«طبيعة تضاريس الجنوب الوعرة وأوديته الكثيفة، والتي تشكّل، إلى جانب التدمير الشامل على الخط الحدودي الأول، عائقاً يحدّ من حركة الآليات، ويفرض الاعتماد المكثّف على الجهد الفني اليدوي الشاقّ».

وحتى تتوفر الظروف الملائمة للعودة والإمكانات لتذليل هذه العقبات، لا بدّ من توعية جادّة للمواطنين ضد مخاطر الألغام، وهي مسؤولية وطنية موزّعة بين الجيش اللبناني، والجمعيات والمنظمات الشريكة في اللجنة الوطنية (LMAC)، إلى جانب البلديات والهيئات الأهلية.

ويتوجب، في المقابل، على الأهالي أنفسهم الالتزام بقواعد السلوك الآمن المتمثّلة في عدم اللمس، وعدم الاقتراب والتراجع فوراً، والإبلاغ السريع عبر الخط الساخن: 956143/05.

يُذكر أن لدى لبنان كفاءة عالية وخبرة متقدّمة في التوعية من مخاطر الألغام. وقد تمّ اختياره رسمياً لقيادة عملية مراجعة وتطوير خطة العمل الخمسية الجديدة للتوعية بمخاطر الألغام على المستوى الدولي بموجب «عملية خطة عمل لوزان» (Lausanne Action Plan Process).

ذخائر متطوّرة وفتّاكة... وأساليب خبيثة

تُظهِر المتابعة والتقييمات الميدانية تحوّلات نوعية وخطيرة في الذخائر الإسرائيلية المُستخدمة مقارنة بالاعتداءات السابقة. ومن بينها، وفقاً لعضو «اللجنة الوطنية للتوعية ومساعدة ضحايا الألغام» في «المركز اللبناني للأعمال المتعلقة بالألغام» (LMAC)، جواد قاسم، «رصد استخدام أنواع حديثة ومُطوّرة مُزوّدة بصواعق شديدة الحساسية للحركة والحرارة والضغط، بالتوازي مع ارتفاع ملحوظ في نسبة عدم الانفجار الفوري، ما يحوّلها عملياً إلى ألغام وقنابل موقوتة شديدة الخطورة».

كما لفت إلى «تعمّد تفخيخ منازل وبيوت سكنية عبر ربطها بشبكات تفجير مُعقّدة، مع تسجيل تصاعد في استخدام كميات كبيرة بأحجام ضخمة من المواد المتفجّرة العالية الفتك خلال نسف المنشآت المدنية، ما يعيق عمليات المسح والعودة الآمنة». وبالتوازي، أشار إلى «اعتماد العدو أساليب متقدّمة وخبيثة في إخفاء الأجسام المتفجّرة بين الركام، وتحت الأشجار، وداخل الأراضي الزراعية، بوسائل تمويه تصعّب اكتشافها بالعين المُجرّدة أو حتى بالأجهزة التقليدية».

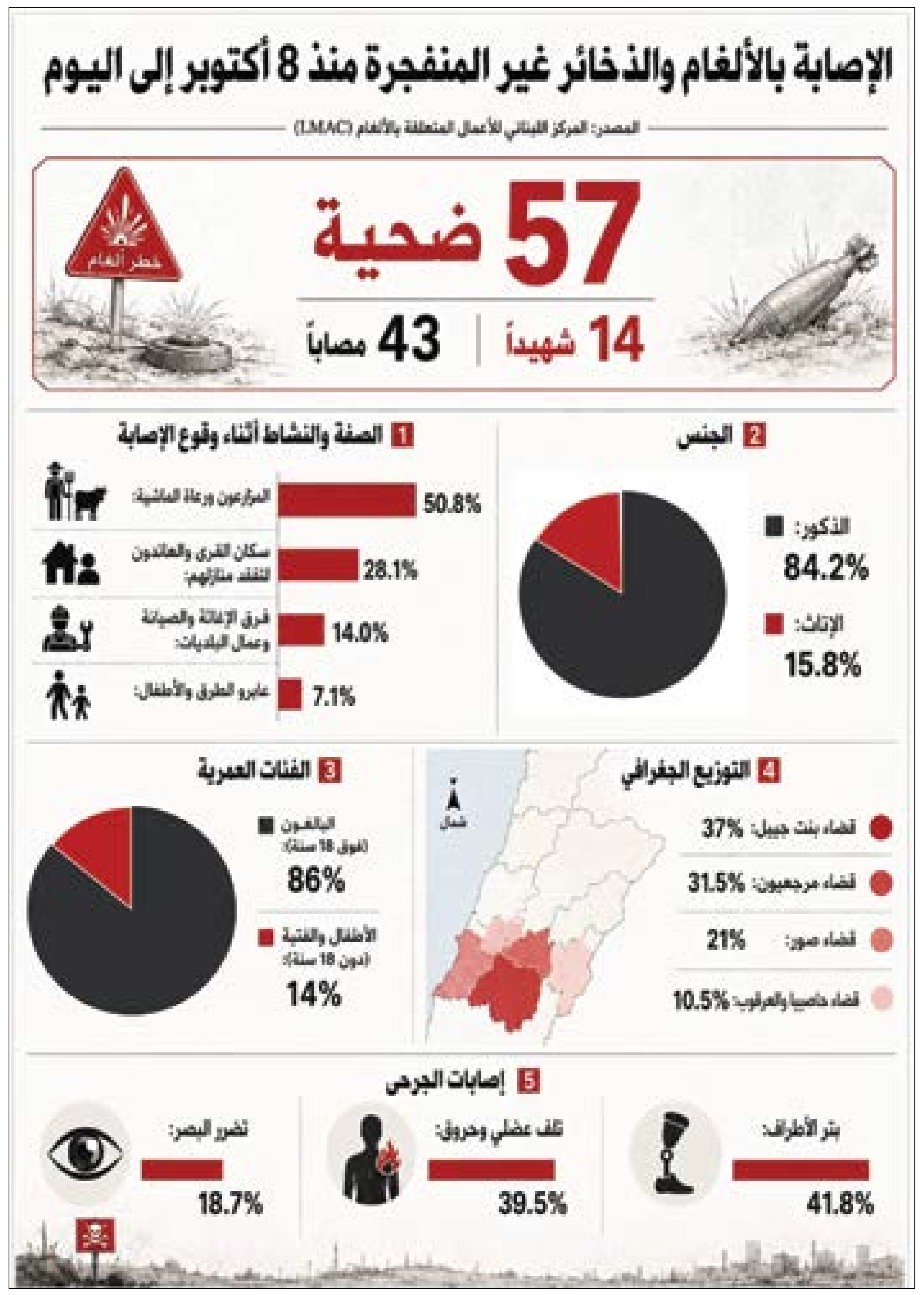

تقرير

في البداوي... معركتا البقاء والذاكرة

دموع الأسمر

تدخل مخيم البداوي، فيلفتك قبل أي شيء حضور فلسطين على الجدران. شعارات، رايات، وصور آلاف الشهداء من مختلف الفصائل الفلسطينية، تمتدّ على مداخل المخيم وأزقته، كأنها تحاول أن تختصر حكاية المكان ودوره في مراحل الكفاح الفلسطيني. هنا، لا تبدو فلسطين مجرد قضية سياسية بعيدة، بل جزءاً من تفاصيل الحياة اليومية، ومن ذاكرة أجيال وُلدت في المخيم ولم تر البلاد التي تتحدّر منها عائلاتها.

في مساحة لا تتجاوز نحو كيلومتر مربّع، يعيش نحو 38 ألف نسمة، في واحدة من أعلى حالات الاكتظاظ السكاني. منازل متلاصقة، أزقة ضيّقة بالكاد تتسع لسيارة واحدة، ودرّاجات نارية تتنقّل بلا توقف، منذ ساعات الفجر وحتى ما بعد منتصف الليل.

على جانبي الطرق والأزقة، تنتشر محالّ تجارية وأسواق شعبية توفر تقريباً كل ما يحتاج إليه سكان المخيم، بل وحتى لبنانيون وسوريون من المناطق المحيطة، وصولاً إلى طرابلس ومناطق شمالية أخرى، بحثاً عن أسعار أقل من تلك السائدة خارجه. وفي المخيم معامل لإنتاج الشوكولا والحلويات ومياه الشرب، باتت مُنتجات بعضها تصل إلى أسواق واسعة في الشمال ولبنان.

مخيم يتّسع للنازحين والأزمات

بلغ الاكتظاظ السكاني ذروات إضافية في محطتين أساسيتين. الأولى مع نكبة مخيم نهر البارد، حين لجأ قسم كبير من سكانه إلى البداوي، والثانية مع الأزمة السورية، التي دفعت أعداداً من الفلسطينيين النازحين من مخيمات دمشق ومدن سورية أخرى إلى اللجوء إلى مخيمات لبنان.

ومع تزايد السكان، ازدادت الضغوط على البنى التحتية والخدمات والمساحات المُتاحة. ويقول مسؤول فلسطيني إن أعداداً من اللبنانيين والسوريين انتقلوا أيضاً إلى المخيم بحثاً عن كلفة معيشية أقل، سواء على مستوى الإيجارات أو اشتراكات الكهرباء والمياه أو أسعار المواد الغذائية والاستهلاكية، وحتى كلفة الاستشفاء والطبابة.

لكنّ انخفاض كلفة الحياة لا يعني أن الحياة سهلة. فالأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي تضرب لبنان انعكست بقوة على المخيم، فيما تقلّصت الخدمات والمساعدات التي كانت تشكل

(الأخبار)

شبكة أمان أساسية للفلسطينيين. ويشير مسؤول فلسطيني إلى أن المساعدات الاجتماعية التي كانت مُتاحة عبر «الأونروا» وغيرها تراجعت إلى حدّ كبير، بما فيها المساعدات المرتبطة بالأمراض المُزمنة، بحيث بات بعض المرضى عاجزين عن تأمين أدويتهم.

35 معبراً أغلقت

لا تتوقف معاناة المخيم عند الخدمات. فقد أدّى إغلاق الجيش اللبناني 35 معبراً كانت تربطه بمحيطه، إلى تضييق حركة الدخول والخروج. ويوضح مسؤول العلاقات السياسية في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أبو العبد قدورة أن الحركة باتت محصورة بمعبرين أساسيين، هما معبر خليل الرحمن والمدخل الرئيسي، ولا يفصل بينهما سوى نحو 500 متر. وفي مخيم مساحته كيلومتر مربّع ويقطنه عشرات الآلاف الأشخاص، تحوّل هذا الواقع إلى عامل إضافي في أزمة الازدحام والحركة.

في البداوي سبع مدارس، تستوعب كل منها بين 500 و600 طالب وطالبة. وبين المؤسسات التعليمية، تبرز مدرسة فرنسية توفر منحاً جامعية عبر السفارة الفرنسية، يستفيد منها لبنانيون وفلسطينيون.

أمّا في المجال الاجتماعي، فتعمل مجموعة من الجمعيات، بينها «النجدة» و«بيت أطفال الصمود» وCBR1، إلى جانب أندية ومؤسسات ثقافية وكشفية. ويقول ناشط فلسطيني إن هذه المؤسسات تؤدّي دوراً يتجاوز تقديم الخدمات، إلى الحفاظ على الذاكرة الفلسطينية لدى الأجيال الجديدة. ويشير تحديداً إلى «النادي الثقافي الفلسطيني»، و«جمعية كشافة المرشدات الفلسطينيات»، و«النجدة»، و«الصمود»، التي تعمل على تثقيف الأطفال والشباب بتاريخ فلسطين وثقافتها وعاداتها وتقاليدها، وعلى إبقاء حقّ العودة حاضراً في الوعي العام، لمنع تحوّل القضية الفلسطينية إلى مجرد ذكرى، في ظل محاولات دفع الأجيال الجديدة إلى الابتعاد عن القضية وحق العودة. ويشير إلى أن الفصائل الفلسطينية بدورها تنظّم بصورة مستمرة نشاطات وفعاليات وطنية وقومية، لإحياء المناسبات المرتبطة بفلسطين، يشارك فيها فلسطينيون ولبنانيون.

«الحياة تستمر»

رغم كل شيء، تبدو الحياة في المخيم أكثر نشاطاً مما توحي به ظروفه. هنا يتعايش الازدحام مع الحاجة، والفقر مع الحركة التجارية، والواقع الصعب مع محاولات مستمرة لتأمين الحد الأدنى من الحياة.

لكنّ الفلسطيني، كما يقول أحد المسؤولين، ليس مختلفاً عن اللبناني في حلمه بحياة أفضل. فكما يحلم لبنانيون بالهجرة بحثاً عن فرص وحياة أكثر استقراراً، يحلم فلسطينيون أيضاً بالرحيل، لا لأنهم تخلوا عن فلسطين، بل لأن شروط الحياة في المخيمات باتت أكثر قسوة.

وفي المقابل، هناك من يصرّ على البقاء وعلى إبقاء فلسطين حاضرة في تفاصيل الحياة. صور الشهداء على الجدران، النشاطات الوطنية، الجمعيات، المدارس، والفصائل، كلها تؤدّي وظيفة واحدة: منع المسافة الزمنية والجغرافية من تحويل فلسطين إلى قضية من الماضي.

في البداوي، معركة البقاء ليست أقل حضوراً من معركة الذاكرة. فالسكان لا يملكون ترف انتظار حل سياسي يعيدهم إلى فلسطين، ولا قدرة على تجاهل واقعهم اليومي. لذلك، يعيشون بين الاثنين: حياة يريدون أن تستمر، وقضية يرفضون أن تموت.

◄ إعلانات رسمية

إعلان
من أمانة السجل العقاري في بعبدا
طلب ريمون جوزيف ابي جودة سند مُورثه جوزيف نعيم أبو جودة سند ملكية بدل ضائع للعقار /769/ دير الحرف.
للمُعترض مُراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري
نايفة شبو

إعلان
أمانة السجل العقاري في صيدا
طلب المُحامي حسن سمهون وكيل سليم الزعتري لمُوكله سليمان أحمد مختار ضيا سند بدل ضائع للعقار /858/ عبرا.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري
باسم حسن

إعلان
أمانة السجل العقاري في صيدا
طلبت فاطمه طنانه وكيلة معين محمد حمدان لمُورثته فاطمه عباس غدار سند بدل ضائع للعقار /479/ قناريت.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري
باسم حسن

إعلان
أمانة السجل العقاري في صور
طلب إسماعيل صليبي وكيل نهاد جواد سلامي لمُورثتها فاطمة حبيب عطية سند بدل ضائع للعقار /1346/ قانا.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

إعلان
أمانة السجل العقاري في صيدا
طلبت سعاد أحمد حمود لمُوكليها محمد وقاسم فضل كوجك سندات بدل ضائع للعقار /937/ تفاحتا.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري
باسم حسن

إعلان
أمانة السجل العقاري في صور
طلب المُحامي علي أيوب لمُوكله موسى إبراهيم حسين خلف شهادة قيد بدل ضائع للعقار /1570/ بارين.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

إعلان
أمانة السجل العقاري في صور
طلب المُحامي علي أيوب فادي صالح العيسى شهادة قيد بدل ضائع للعقار /1568/ بارين.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

إعلان
أمانة السجل العقاري في صور
طلب أحمد قصير لمُوكلته ستة توفيق أيوب شهادة قيد بدل ضائع للعقار /482/ سلعا.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

إعلان
أمانة السجل العقاري في صور
طلب المُحامي علي أيوب لمُوكله عباس مصطفى عباس شهادتي قيد بدل ضائع للعقارين /417/ و/624/ شيحين.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

إعلان
أمانة السجل العقاري في صور
طلب إبراهيم فقيه لمُوكله طارق حسن حمود سند بدل ضائع للعقار /2547/ جويا.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

إعلان
أمانة السجل العقاري في صيدا
طلب حسين علي سبليني لمُوكليه حسين وعلي سبليني سندي تمليك بدل ضائع للعقار /264/ لوبية.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري
باسم حسن

إعلان
أمانة السجل العقاري في صور
طلب فضل نور الدين وكيل محمد نور الدين لمُوكله حسين رياض التامر سند بدل ضائع للعقار /12/ طويري.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

إعلان
أمانة السجل العقاري في صور
طلب إسماعيل صليبي لمُوكلته سهيلة إبراهيم تاج الدين سند بدل ضائع للعقار /304/ حنويه.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

إعلان
أمانة السجل العقاري في صور
طلب محمد مازح لمُوكله بسام يوسف شلهوب سند بدل ضائع للعقار /3/ معروب.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

إعلان
أمانة السجل العقاري في صور
طلب هشام غريب لمُوكلية عليه نعمي عواضه وحسين محمود دامرجي سندين بدل ضائع للعقار /1562/ بازورية.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

إعلان
أمانة السجل العقاري في بيروت
طلب طلال يوسف أبو سعده وكيل صفاء محمد الراعي (سورية) سند تمليك بدل ضائع باسم صفاء محمد الراعي (سورية) بالقسم 13 من العقار /526/ منطقة عين المريسة العقارية.
للمُعترض 15 يوم للمُراجعة
أمين السجل العقاري في بيروت
بالتكليف
جويس عقل

إعلان
أمانة السجل العقاري في الجنوب
طلب محمد مصطفى قبوط بموكله غالب محمد عباس شهادة قيد بدل ضائع للعقار رقم /1393/ عنقون.
للمُعترض 15 يوم للمُراجعة
القاضي العقاري
طارق طربيه

إعلان
أمانة السجل العقاري في بيروت
طلبت سماهر سمير عقيل بصفتها وكيلة عن رشيد سمير عقيل سند تمليك بدل ضائع باسم رشيد سمير عقيل بالقسم 31 من العقار /1200/ منطقة الباشورة العقارية.
للمُعترض 15 يوم للمُراجعة
أمين السجل العقاري في بيروت
بالتكليف
جويس عقل

إعلان
أمانة السجل العقاري في بيروت
طلب وليد عمر مملوك بصفته وكيل عن البائعة ليلى عفيف سلمان زوجة عصام يونس وبصفته وكيل عن المُشتري حسام ديب الوزان سند تمليك بدل ضائع باسم البائعة ليلى عفيف سلمان زوجة عصام يونس بالقسم 13 من العقار /968/ منطقة المصيطبة العقارية.
للمُعترض 15 يوم للمُراجعة
أمين السجل العقاري في بيروت
بالتكليف
جويس عقل

إعلان
أمانة السجل العقاري في صور
طلب المُحامي علي أيوب لمُوكله عباس مصطفى عباس شهادتي قيد بدل ضائع للعقارين /417/ و/624/ شيحين.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

كلمات متقاطعة 5171

أفقيا

1- نهر عراقي – جزيرة سورية – 2- يأتي بعد – شاعر فرنسي راحل رائد السريالية – 3- من الأوزان – لهو ومرح – 4- متشابهان – للتعريف – للنداء – 5- دائم وثابت على وتيرة واحدة – شعوب هندية لها عادات وتقاليد تاريخية عريقة – 6- كاس – مدينة بلجيكية – 7- مدينة في الهند – بحر – 8- يوم بالأجنبية – فرعون مصري – 9- قلب الإناء على رأسه – بزّه – ماركة سيارات – 10- مدينة سورية – منام

عمودياً

1- صاحب مبدأ « انا أفكر إذاً أنا موجود » – عاصمة آسيوية – 2- واضحات – أشهر مدن الشرق القديم – 3- مدينة فرنسية – يستعمل المكواة – 4- سفينة تسير على البخار – رجل دين – 5- مدينة تونسية – 6- غزال – أنت بالأجنبية – 7- نائب رئيس سوري راحل – 8- انحرف والتوى – نوتة موسيقية – جوهر غير مادي للكائن الحي – 9- أمر فقطيع – أحرف متشابهة – أشار – 10- منطقة تاريخية في العراق قرب الكوفة

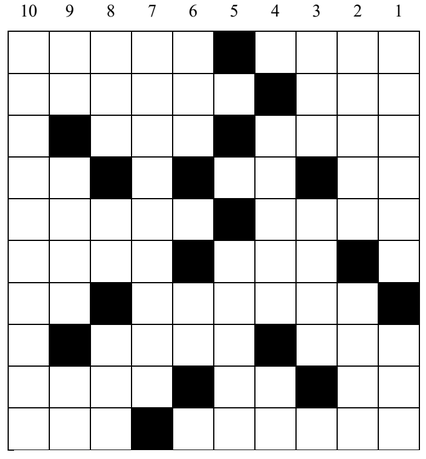

حلول الشبكة السابقة

أفقيا
1- المحارة – بر – 2- يوناني – حلو – 3- نمّ – كف – جبيل – 4- شوشو – آر – را – 5- تمارين – تين – 6- آب – كانو – 7- يال – سليب – 8- وايت – كيا – 9- كامارا – ين – 10- ابريق الزيت

عمودياً
1- اينشتاين – 2- لومومبا – كب – 3- من – شا – لوار – 4- حاكورة – أميّ – 5- انف – سياق – 6- ري – انكلترا – 7- جر – اي – ال – 8- حب – تنبك – 9- بليريو – ي ي ي – 10- رولان – كانت

sudoku 5171

6				5			9	8
	4		7		8		2	
9		7		1		4		
	5				7		6	
		1		4		9		
8		4	1			3		7
		5		6		2		
	9		2		5		4	
4								6

حلول الشبكة السابقة

4	6	9	2	7	1	3	5	8
1	2	7	3	8	5	6	4	9
5	8	3	9	6	4	2	1	7
9	4	2	6	1	3	8	7	5
3	7	5	8	2	9	4	6	1
6	1	8	5	4	7	9	2	3
8	5	4	7	9	6	1	3	2
2	3	1	4	5	8	7	9	6
7	9	6	1	3	2	5	8	4

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

كلمة السر 468

كلمة السر من 6 حروف: أديب روسي من مؤلفاته « جنينة الكرز »
الادب - اصول - بونين - بيليه - بلوك - تولستوي - جوكوفسكي - روسيا - رودن - روح - ظل - غوركي - غوغول - فاديف - فساد - فن - قصصي - كوبرين - كاتب - نثر - ورق

ت	ل	ا	ن	ب	غ	و	ر	ك	ي		
ب	ي	و	ل	د	و	ب	ت	ا	ك		
ي	ي	و	غ	ا	و	ن	ن	ث	ر		
ك	ي	ل	ت	و	د	ر	ي	ك	ش		
س	ا	ق	ي	س	غ	ب	و	ن	ف		
ف	ي	ص	ل	ه	ل	ب	خ	ي	ا		
و	س	ص	ظ	ب	ر	و	ي	ف	ص		
ك	و	ي	ل	ي	ق	د	ت	س	و		
و	ر	و	ن	ر	ا	ف	ن	ا	ل		
ج	ك	ف	و	ف	ح	و	ر	د	و		

حلول الشبكة السابقة: التين

عملية حسابية 468

شروط اللعبة:
ضع الارقام المناسبة من 1 الى 99 في المربعات الفارغة للوصول الى حل العملية الحسابية

32	٪		X		=	48
٪		X		X		
	X		٪	4	=	14
X		+		٪		
	–		X		=	21
=		=		=		
72		39		8		

حلول الشبكة السابقة

80	٪	4	٪	5	=	4
٪		X		X		
2	X	15	٪	5	=	6
٪		+		–		
8	X	3	X	4	=	96
=		=		=		
5		63		21		

شبكة العنكبوت 468

إعداد نعوم مسعود

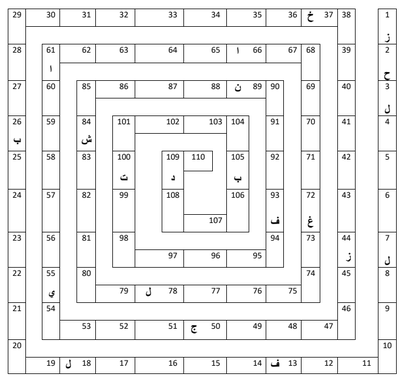

1 – 3 أحد الكواكب في النظام الشمسي
2 – 18 مسرحية كوميدية خيالية للكسندر دوما في أثينا
18 – 26 رواية للأديب اللبناني نبار روفائيل
24 – 30 شخصية انكليزية برزت في الفولكلور تمثل فارساً شجاعاً خارج عن القانون
29 – 37 فنان لبناني له أغنية « انت او لا احد »
37 – 44 شاعر رجل لبناني راحل
44 – 51 فنان لبناني له أغنية « وبطير »
50 – 55 دولة افريقية
54 – 61 اعلى بحيرة في العالم
60 – 66 سحر الشخصية وقوة الحضور والتأثير على الآخرين
65 – 70 الاسم الفرنسي لجزر فوكلاند الانكليزية
70 – 73 من الحلويات السكرية المعجونة بالمكسرات
82 – 72 شاعر ومسرحي اسباني من شعره « مرثية مصارع الثيران »
86 – 81 مدينة سورية
85 – 93 ممثل اميركي راحل احد اشهر وجوه الشر في السينما
93 – 100 مدينة ألمانية
100 – 107 مفاعل نووي في اوكرانيا ادى انفجاره الى تلوّث اشعاعي واسع المدى
107 – 110 مدينة انكليزية في يوركشير

حل شبكة العنكبوت السابقة

احدب نوتردام - اماديو مودلياني - انياس - سفيرتنا الى النجوم - جومان - ذيكولا ساركوزي - زي العسل - سليم الحص - حصن كيفا - فالوغا - غارون - نسرين - نسيب نمر - مرسيدس - نجوى الغروب - روبي - بيغماليون - نخلة

شروط اللعبة

شبكة العنكبوت تتألف من 110 خانات مرقمة وداخل بعض الخانات تتواجد أحرف تساهم في تسهيل الحل بعد الإجابة على الأسئلة الموجودة أسفل الشبكة. الشبكة تعمل مثل عقارب الساعة إبتداءً من الرقم 1 الى الرقم 110

مشاهير 5171

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

رئيس الشيشان (1944-1996). إغتيل بصاروخ موجه أطلقته طائرة حربية روسية
5+9+1+2 = ظلمة ■ 8+3+7+3+8+11 = غايات محققة ■ 10+6 = أنت بالأجنبية

حل الشبكة الماضية: **ستيفن جيرارد**

إيران

التصعيد الأميركي لا يعطّل الوساطات
واشنطن تبحث عن «اتفاق شامل»

تحدثت تقارير عن رصد إطلاق صواريخ إيرانية باتجاه سفن في مضيق هرمز، أمس (أرشيف)

رغم استمرارها في تصعيد الضغوط على إيران، يبدو أن إدارة الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، تعكف على إعداد تصوّر سياسي لـ«اليوم التالي» للحرب، يظهر أنه يتمحور حول عنوانَين رئيسَين: الدفع نحو اتفاق أوسع مع طهران يشمل مضيق هرمز والملف النووي، والعمل مع «الترويكا» الأوروبية لإعادة الملف الإيراني إلى «مجلس الأمن الدولي». كذلك، تعمل الإدارة الأميركية على تطوير «استراتيجية إقليمية» هدفها إنشاء منظومة لردع إيران وإضعافها، بالتوازي مع توسيع دائرة التطبيع بين الدول العربية وإسرائيل.

وبحسب ما أفاد به موقع «أكسيوس»، فإن هذه «الخطة لا تزال في مراحلها الأولى»، وهي تُبحث على مستويَي القيادة السياسية والوكالات الحكومية، على أن تتبلور بصورة أوضح خلال الأسابيع المقبلة. ويأتي التحرّك الأميركي الجديد، في ظلّ تقديرات بأن المواجهة مع إيران قد تطول؛ إذ نقلت «نيويورك تايمز» عن مسؤولين أميركيين قولهم إن «التقييمات الاستخباراتية تشير إلى احتمال أن تفضّل إيران إطالة أمد الحرب حتى انتخابات التجديد النصفي الأميركية بدلاً من التفاوض»، وإن طهران باتت تملك «فهماً أوضح لقدراتها العسكرية، وقد تدرس تصعيداً كبيراً يعيد مستوى التوتر إلى ما كان عليه في شهر تموز».

مع ذلك، لا تزال قنوات التفاوض مفتوحة، فيما يعمل الوسطاء على إعداد «إطار لمفاوضات بين طهران وواشنطن بشأن اتفاق جديد»، مع الأخذ في الاعتبار أن الإدارة الأميركية ترفض الاكتفاء بالترتيبات السابقة، وتدفع نحو اتفاق أشمل يتناول مضيق هرمز والبرنامج النووي معاً. ووفقاً لما نقلته «فايننشال تايمز» عن مصادر دبلوماسية، فإن واشنطن أبلغت الوسطاء بأنها «تريد إبقاء المضيق مفتوحاً بصرف النظر عن مسار التفاهم بين مسقط وطهران» -التي تستمرّ، من جهتها، في تأكيد أحقيتها في إدارة حركة السفن في «هرمز».

وبالتوازي مع محاولات تحريك المسار التفاوضي، تعود واشنطن إلى رفع مستوى الضغط المرتبط بالملف النووي. إذ أفادت «رويترز» بأن الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا تدفع نحو إصدار قرار، الأسبوع المقبل، في مجلس محافظي «الوكالة الدولية للطاقة الذرية»، يطلب إحالة ملف إيران إلى «مجلس الأمن» على خلفية ما تعتبره الدول الأربع إخلالاً بالالتزامات الإيرانية في مجال منع الانتشار النووي. ويدعو مشروع القرار، طهران، إلى «الوفاء بالتزامات الضمانات، وتمكين الوكالة من إجراء عمليات التحقّق المطلوبة». وفي ردّها على ذلك، اعتبرت ممثلية إيران لدى المنظمات الدولية في فيينا أن خطوة الدول الأربع تكشف أن هذه الأخيرة «لا تؤمن» بالية «سناب باك» التي سبق أن دفعت إليها، مؤكدةً أن التحرك الجديد «لن يحقق (لتلك الأطراف) أيّ فائدة».

وفي خضمّ كلّ ذلك، يستمرّ رهان الإدارة الأميركية على الحصار والعقوبات لإضعاف قدرة إيران على تمويل المواجهة. وفي هذا الإطار، ادّعى وزير الخزانة الأميركي، سكوت بيسنت، أنه «لم تُعبر أيّ شحنات نفط إيرانية مضيق هرمز إلى الصين منذ إعادة فرض الحصار». وأضاف أن «شريان الحياة» لصادرات إيران «يتعرّض للقطع وأن إيراداتها النفطية تتراجع سريعاً»، فيما يستمرّ وجود شحنات على متن ناقلات عالقة في المضيق، بما سيحدّ، بحسب زعمه، من قدرة طهران على تجديد مخزوناتها.

لكن الضغط على الصادرات الإيرانية يقابله اضطراب أوسع في حركة الطاقة عبر المضيق. إذ أظهرت تطورات الأيام الماضية لجوء ناقلات غاز قطرية وإماراتية إلى عمليات نقل حمولة من سفينة إلى أخرى خارج «هرمز»، في محاولة لتجاوز المخاطر على الملاحة. أيضاً، تحدّثت تقارير عن رصد إطلاق صواريخ إيرانية في اتجاه سفن في المضيق. مع ذلك، ورغم استمرار تتالي المؤشرات على وهن الادعاءات الأميركية في شأن «علوّ اليد» في مضيق هرمز وفي مسارات المواجهة عموماً، أعاد ترامب، أمس، تكرار مزاعمه حول أن الولايات المتحدة «انتصرت بالفعل» على إيران لأنها منعتها، وفق قوله، من امتلاك سلاح نووي. وقال ترامب، في تصريحات أخرى، إن المواقع النووية الإيرانية الثلاثة التي استُهدفت «دُمّرت بالكامل». كما تحدّث عن موقع إضافي، زاعماً أن لدى بلاده كاميرات تتيح لها معرفة «مَن يدخل ومَن يخرج». وفي إطار السجال الداخلي المستمرّ حول سياساته، هاجم الرئيس الأميركي خصومه «الديمقراطيين» و«اليساريين»، متهماً إيّاهم بـ«تفضيل خسارة الولايات المتحدة الحرب على أن يُحسب له الانتصار فيها».

> جدّدت إيران رفضها «إخضاع المنطقة لترتيبات تقودها أميركا»

وعلى المقلب الإيراني، جدّد المسؤولون تمسّك البلاد بـ«الصمود ورفض إخضاع مستقبل المنطقة لترتيبات تقودها واشنطن». وقال رئيس السلطة القضائية الإيرانية، غلام حسين محسني إجئي، إن الولايات المتحدة «تبحث عن حلّ للخروج من المستنقع الذي صنعته لنفسها»، معتبراً أن واشنطن وتل أبيب استخدمتا قدراتهما لفرض حرب على إيران من دون أن تحقّقا أهدافهما. ومن جهته، شدد رئيس البرلمان الإيراني، محمد باقر قاليباف، على أن دول المنطقة «يجب أن تتولّى زمام مستقبلها»، وأن الاستقرار لا يمكن أن يتحقّق إلّا عبر «بنية أمنية جديدة نابعة من المنطقة نفسها»، مؤكداً استعداد إيران للمشاركة في هذه البنية، كما اعتبر أن «تأكيد الصين تعزيزَ الأمن المشترك ينسجم مع مبدأ دافعت عنه طهران طويلاً».

(الأخبار)

دونالد ترامب بنسخته الثالثة: إنقاذ «الجمهوريين»... بالثرثرة

حسين إبراهيم

جاءت الضربات الأميركية الأخيرة على إيران، مفاجئة في توقيتها؛ إذ كانت أقرّت الولايات المتحدة قُبيلها، بشكل أو بآخر، بعقم الخيار العسكري، فيما ذهب معارضو الرئيس دونالد ترامب، من «الجمهوريين» و«الديمقراطيين» على السواء، إلى اتهامه بالإضرار بمكانة بلاده من خلال اتّخاذه قرار الحرب، التي أدّت إلى تقوية النظام الإيراني، بدلاً من إسقاطه أو إضعافه. كما أن تلك الضربات أتت مباشرة بعد فرض عقوبات جديدة على طهران، رافقتها حملة إعلامية قادها ترامب وأركان إدارته، هدفت إلى الترويج لكونها كفيلة بالقضاء على النظام.

ومن ثمّ، وبعد أيام قليلة من بدئها، توقّفت الهجمات الأميركية الجديدة، بالشكل المفاجئ والغامض نفسه الذي بدأت فيه. وبطبيعة الحال، كانت ردّت إيران على تلك الهجمات بقصف عدد من القواعد الأميركية في المنطقة، في ما يتّسق مع سياستها القائمة على عدم تَرْك أيّ هجوم أميركي عليها من دون ردّ، والهادفة إلى حفظ قواعد الاشتباك التي ترى أنها تمكّنت من تكريسها خلال الحرب. وإذ لا يمكن الحصول على تقييم محايد لنتائج الردود الإيرانية، لا من طهران ولا من واشنطن، إلّا أن الأكيد أن لها تأثيراً ما على المنطقة ككلّ، وباوجه مختلفة، وبالتالي لها كلفة كانت الولايات المتحدة في غنى عنها، طالما أنها تعرف، وتعترف، بأن العمليات العسكرية لن تأتي بنتيجة على أيّ حال. ومن بين التبعات البالغة على الصورة الأميركية لهذا النوع من الضربات، أنها تفضح التزاماً أميركياً دقيقاً بقواعد الاشتباك التي تقول إيران إنها تمكّنت من فرضها، وعلى رأسها عدم استهداف البنية التحتية للطاقة؛ إذ سبق أن هدّدت طهران بأنه في حال تجاوز الخطّ الأحمر المذكور، فستضطرّ هي إلى استهداف كلّ البنى التحتية الطاقوية في دول الخليج كافة، الأمر الذي من شأنه أن يشعل أزمة طاقة قد يدفع ترامب ثمنها غالياً.

أغلب الظنّ أن الضربات الأميركية الجديدة تفتتح حرباً هجينة، عسكرية واقتصادية، هدفها إبقاء الوضع على ما هو عليه، من دون نزيف إضافي في شعبيّة «الجمهوريين» قبيل الانتخابات النصفية لـ«الكونغرس» الأميركي. والرهان الدقيق هذا، إنّما هدفه محاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه من السيطرة «الجمهورية» الحالية على المجلسَين. فبغير ذلك، سيكون هناك ترامب ثالث، غير الأوّل الذي صعد على متن يمينيّته الأميركية في ولايته الأولى، وحتماً غير الثاني الذي لم تكفه اليمينية للفوز بولاية إضافية، فجاء متحالفاً مع المسيحيين الصهاينة الذين يسيطرون على المال، وهو ما كان ثمنه خروجه من دائرة الأولويات الأميركية إلى حيّز الأولويات الإسرائيلية، وبالتالي تحوُّل العالم الخارجي، وتحديداً الشرق الأوسط، إلى ساحة عمله الأولى.

> من الصعب تصوّر أهداف عسكرية ذات قيمة وموثّرة في مسار الحرب للضربات الأخيرة

لكنّ إخفاقات الحرب ضدّ إيران، وتداعيات حرب الإبادة الإسرائيلية في قطاع غزة، أبعدت قسماً عن اليمين المسيحي غير الصهيوني عن ترامب، بل حوّلت هذا القسم إلى مُعارِض لإسرائيل، لا بسبب مجازر غزة التي لطّخت صورة الولايات المتحدة فقط، وإنما أيضاً بسبب الحملة على إيران التي أظهرت جلياً أن الحروب التي تُخاض بالمال والسلاح الأميركيَّيْن، بل بالجنود الأميركيين هذه المرّة، لها أهداف إسرائيلية وليست أميركية، بل إنها مُضِرّة بمصالح واشنطن. وكانت تلك أوّل مرّة يظهر فيها نكْث ترامب بوعد أساسي رافق حملاته الانتخابية كلّها، وهو عدم التورّط في حروب خارجية طويلة ومُكلِفة، علماً أن الرئيس «الجمهوري» هو نفسه مَن تفاخر طويلاً بتقديم جردات حساب للأميركيين تفيد بأنه حقّق هذا الوعد الانتخابي أو ذاك. وعليه، فإن الانتخابات النصفية لـ«الكونغرس»، إذا ما خسر «الجمهوريون» بنتيجتها المجلسَين، ستفضي إلى نسخة ثالثة من ترامب، هي «ترامب الأعرج» الذي سيشاهد طموحاته السياسية المسنودة إلى إمبراطورية مالية توسّعت كثيراً خلال سنوات الرئاسة، تنهار أمام عينيه خلال السنتَين الأخيرتَين من ولايته الثانية.

> من الصعب تصوّر أهداف عسكرية ذات قيمة وموثّرة في مسار الحرب للضربات الأخيرة

لكلّ ما تقدّم، لا يستطيع ترامب المخاطرة كثيراً خلال الشهرَين المقبلَين في ما يخصّ الحرب على إيران. وبما أن خيار النصر صار بعيد المنال، وخيار الخسارة داهم ومحيق، فإن جلّ ما يستطيع فعله هو ترك هذه الخسارة غير مُحقّقة وغير مُعترَف بها حتى الانتخابات، وتمضية الوقت في الكلام المُفرط عن الانتصار والقضاء على إيران، وغير ذلك من كليشيهات يستخدمها ترامب بحرفيّتها يومياً. وإذا كانت تلك الكليشيهات توحي بأنه منفصل عن الواقع، فالحقيقة أنه يعتمد تكتيكاً سياسياً لتشويه الحقائق فحسب، وإبقاء صورته قوية في نظر الجمهور، الذي قد لا يعرف كلّه بدقّة ما يجري على الأرض.

من الصعب تصوّر أهداف عسكرية ذات قيمة وموثّرة في مسار الحرب للضربات الأخيرة، حتى إن كان حقيقياً الكلام الأميركي عن أنها استهدفت أصولاً تنشر الغاما في مضيق هرمز، وحتى إذا كانت السيطرة على المضيق هي العنوان المُعلَن أميركياً للمواجهة المستمرّة خلال سنوات الرئاسة، تنهار أمام عينيه خلال السنتَين الأخيرتَين من ولايته الثانية.

لكلّ ما تقدّم، لا يستطيع ترامب المخاطرة كثيراً خلال الشهرَين المقبلَين في ما يخصّ الحرب على إيران. وبما أن خيار النصر صار بعيد المنال، وخيار الخسارة داهم ومحيق، فإن جلّ ما يستطيع فعله هو ترك هذه الخسارة غير مُحقّقة وغير مُعترَف بها حتى الانتخابات، وتمضية الوقت في الكلام المُفرط عن الانتصار والقضاء على إيران، وغير ذلك من كليشيهات يستخدمها ترامب بحرفيّتها يومياً. وإذا كانت تلك الكليشيهات توحي بأنه منفصل عن الواقع، فالحقيقة أنه يعتمد تكتيكاً سياسياً لتشويه الحقائق فحسب، وإبقاء صورته قوية في نظر الجمهور، الذي قد لا يعرف كلّه بدقّة ما يجري على الأرض.

العراق

9 شواغر بينها الداخلية والدفاع
«فيتو» أميركي يعطّل استكمال الحكومة

بغداد - **فقار فاضل**

بعد أكثر من 115 يوماً على تشكيل الحكومة العراقية، لا تزال «الكابينة» الوزارية ناقصة تسع حقائب، بينها وزارتا الداخلية والدفاع. وعلى الرغم من تعهّد «الإطار التنسيقي» بحسم الشواغر خلال أيام، وإرسال الأسماء إلى مجلس النواب للتصويت عليها، فإن العقدة التي تؤخّر استكمال التشكيلة لا تبدو عراقية خالصة، ولا سيما مع وجود اعتراض أميركي على أسماء مرشّحة لشغل مناصب حساسة، من بينها تلك المرتبطة سياسياً أو تنظيمياً بفصائل المقاومة. وبحسب مصادر سياسية مطّلعة تحدّثت إلى «الأخبار»، فإن المبعوث الأميركي الخاص، توم برّاك، أبدى تحفّظات على عدد من الأسماء المطروحة، وذلك خلال مناقشته مع مسؤولي بغداد تفاصيل ملفّات سياسية وأمنية، بينها إتمام «الكابينة» و«حصر السلاح في يد الدولة». وكانت بحثت قوى «التنسيقي»، في وقت سابق، نتائج زيارة برّاك إلى بغداد، قبل أن تتّجه لاحقاً إلى منح رئيس الحكومة، علي الزيدي، مساحة أكبر في اختيار الأسماء للحقائب الخلافية.

ويصف الباحث في الشأن السياسي، حيدر اللامي، ما يجري بأنه يتجاوز الخلاف الداخلي، مشيراً إلى أن «هناك فيتو أميركياً على الأسماء، خصوصاً في المناصب الأمنية الحسّاسة»، وأن عدداً من المرشّحين لم يحظوا بالقبول الأميركي. ويشير إلى أن الزيدي وضع مواصفات للمرشّحين، مستدركاً بأن مشكلته تكمن في أن قسماً كبيراً من الأسماء المطروحة يأتي من بيئات حزبية أو فصائلية.

ولا يعني ذلك أن الخلافات الداخلية هامشية؛ فـ«الإطار التنسيقي» نفسه لم يحسم بصورة نهائية أسماء بعض الحقائب التي تقع ضمن حصّته، فيما قدّمت قوى أخرى، بينها السنّية والكردية، قوائم مرشّحين للوزارات العائدة إليها. ووفق معلومات منشورة، طلب الزيدي أكثر من اسم لكلّ حقيبة كي يحتفظ بهامش الاختيار، بينما بقيت «الداخلية» وملفّات أخرى موضع تجاذب داخل «التنسيقي».

وتقول النائبة ضحى السدخان، لـ«الأخبار»، إن «هناك اتفاقاً على حسم الوزارات التسع المتبقّية في أقرب وقت»، لكنها تقرّ بوجود تأثيرَين، خارجي وداخلي، يعترضان طريق الأسماء التي تطرحها الأحزاب. وترى أن «المطلوب هو اختيار الوزراء على أساس المهنية والكفاءة، بعيداً من المحاصصة والمحسوبية، خصوصاً أن وزارات من مثل الداخلية والدفاع تمسّ أمن البلاد وحياة الناس».

من جهته، يلفت المتحدّث باسم تحالف «خدمات»، حسام الربيعي، في حديث إلى «الأخبار»، إلى أن استمرار إدارة وزارات بهذا الحجم بالوكالة بعد أكثر من مئة يوم، يعكس عدم الاتفاق على الأسماء، مضيفاً أن الدور الأميركي في القرار العراقي «لا يمكن حجبه»، خصوصاً في الملفّات السياسية والأمنية. ويعتقد أن الحاجة باتت ملحّة إلى حسم وزارتَي الداخلية والدفاع تحديداً، في ظلّ ظرف أمني إقليمي حسّاس.

> من شأن استمرار إدارة الوزارات الشاغرة بالوكالة أن يحدّ من قدرة الحكومة على مواجهة التحدّيات

ومن شأن استمرار إدارة الوزارات الشاغرة بالوكالة أن يحدّ من قدرة الحكومة على مواجهة التحدّيات الماثلة أمامها - وعلى رأسها الأزمة الاقتصادية والمالية الناجمة عن تداعيات الحرب على إيران وملف «حصر السلاح» -، وأن يحول دون تمكّنها من تنفيذ برنامجها. وفي هذا الإطار، شدّدت بيانات «التنسيقي» على أن استكمال «الكابينة» ضروري لتعزيز الأداء الحكومي وتنفيذ البرنامج الوزاري.

لكنّ هذه المهمّة يعترضها الضغط الأميركي في اتّجاه تقليص نفوذ فصائل المقاومة، ومنع تمدّده داخل مؤسّسات الدولة، ولا سيما الأمنية منها؛ وهذا ما يجعل وزارتَي الداخلية والدفاع تحديداً في قلب الضغوط المتعاكسة. وفي المقابل، تعتقد قوى داخل «التنسيقي» أن فرض شروط خارجية على أسماء الوزراء يمثّل تدخلاً في القرار السيادي العراقي. ومن شأن ذلك التباين أن يطيل أمد المفاوضات، اللهم إلا إذا ارتضى الجانب الأميركي نوعاً من المقايضات، يتيح له التخلّي عن بعض «الفيتوات» المتّصلة بالمرشّحين.

برّاك ناقلاً في بغداد استكمال الحكومة وحصر السلاح (من الويب)

اليمن

امتداد القتال إلى جنوب الحديدة
صنعاء تحافظ على تقدّمها غرباً

صنعاء - **رشيد الحداد**

امتدّت المواجهات العسكرية بين قوات صنعاء والفصائل الموالية للسعودية، من غربي تعز إلى جنوب الحديدة، وسط توقّعات باستمرارها لأسابيع، ولا سيما مع غياب أيّ مساع للتهدئة. ورغم اعتراف حكومة عدن بتكبّد تلك الفصائل خسائر بشرية في جبهات الريف الغربي لتعز وفقدانها العديد من المواقع، إلّا أنها تراهن على الوقت لتغيير مسار المعركة. وفي المقابل، تشير المعطيات إلى أن «أنصار الله» تحافظ على أغلب ما حقّقته في الجبهات التي اشتعلت للتوّ، وتعمل على تأمين المناطق التي سيطرت عليها، وإعادة تطبيع الأوضاع فيها.

وأكّدت مصادر ميدانية، لـ«الأخبار»، تجدُّد المواجهات بين الطرفين بعد وصول تعزيزات من «المنطقة العسكرية الرابعة» التابعة لحكومة عدن، إلى الفصائل المتواجدة في الساحل الغربي، وذلك في محاولة لإعاقة تقدّم قوات صنعاء، ومنع وصولها إلى المناطق الحاكمة المطلّة على مضيق باب المندب. وكانت تلك القوات تقدّمت في قطاعات واسعة في مديرية جبل حبشي ومحيطها، شملت جبل نعمان الاستراتيجي، والمرتفعات الغربية لمبنى بكاري، ومناطق خُمرة، والقوز الأسفل، والرحبة، والأحطوب، والطوير، والكويحة، إلى جانب تُبّتَي الخزان ومصنعة، وسلاسل جبلية حاكمة تُشرف مباشرة على قرى العفيرة والنويهة والعذير، وفق مصادر محلّية.

وإذ حاولت الفصائل الموالية للسعودية استعادة بعض تلك المناطق، فقد استطاعت قوات صنعاء، من جهتها، تأمين مواقعها في حمير، والمطاحن، والسوداء، والغيلي، كما حقّقت تقدّماً في منطقة العقمة الواقعة في مديرية موزع وعدّة تباب حاكمة. وبالتوازي، امتدّ القتال بين الطرفين إلى بعض المناطق في مديرية مقبنة، في وقت استمرّت فيه المواجهات في جبهة الكدحة، وفي سلسلة جبال دباس المطلّة على منطقة حيس، حيث اشتبكت «أنصار الله» مع فصائل تابعة لطارق صالح وأخرى سلفية.

ووفق أكثر من مصدر، فإن مواجهات المحور الساحلي التي دارت في محيط مديرية حيس جنوب الحديدة، تُعدّ الأعنف منذ سنوات. وفي الوقت الذي لم تعلن فيه قوات صنعاء أي تفاصيل بشأن المواجهات (سواء غربي تعز أو جنوب الحديدة)، أفادت مصادر محلية في الساحل الغربي بأن الاشتباكات التي تُستخدم فيها مختلف أنواع الأسلحة، دارت في سلسلة جبال البراشة وجبل دباس الاستراتيجي، وسادتها حالة كرّ وفرّ، وسط تقدّم لافت لـ«أنصار الله».

ومع احتدام القتال، دعت قيادة محافظة الحديدة التابعة لصنعاء، خلال اجتماع موسّع، من سمّتهم «المُغرَر بهم من أبناء المحافظة» إلى «العودة إلى صفّ الوطن وترك مواقعهم»، مؤكدة أن «الوطن يتّسع لجميع أبنائه وأن حقوق العائدين وممتلكاتهم مصونة». وقال محافظ الحديدة، عبد الله عطيفي، في حديث نقله مركز الإعلام التابع للمحافظة، إن هذه «الدعوة تأتي لحقن الدماء وإنقاذ المُغرَر بهم من الاستمرار في خدمة أجندة الخارج»، حاثاً أبناء مديريتَي حيس والخوخة على عدم الانجرار وراء مخطّطات التصعيد. ومن جانبه، اعتبر نائب وزير الداخلية في حكومة صنعاء، اللواء عبد المجيد المرتضى، أن «السعودية تستخدم أبناء تهامة في مواجهة أبناء وطنهم»، حاضّاً المقاتلين في صفوفها على الاستفادة من فرصة العودة، محذّراً من أن «الرهان على الخارج لن يحقّق سوى الخسارة».

على الغلاف

من صوماليلاند شرقاً إلى الكاميرون غرباً

«حزام إسرائيلي» يشقّ أفريقيا

محمد عبد الكريم أحمد

أعادت إزاحة الستار، مطلع آب الماضي، عن تمثال يوناتان نتنياهو، شقيق رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، عند مدخل مبنًى الركاب القديم لمطار عنتيبي، تسليط الضوء على التمدّد الإسرائيلي المستمرّ في قلب أفريقيا. فالاحتفاء الأوغندي بذكرى الضابط الإسرائيلي الذي قُتل خلال عملية إنقاذ رهائن طائرة «إير فرانس» قبل خمسين عاماً (اختُطفت الطائرة عقب إقلاعها من أثينا، حيث توقّفت آتيةً من تل أبيب، وحُوّلت وجهتها إلى المطار الأوغندي)، تزامن مع تحرّكات تقودها دول أفريقية عدّة، وفي مقدّمها بوروندي والكاميرون، لتعميق علاقاتها الأمنية والعسكرية والاقتصادية بإسرائيل. وهي تحرّكات تحظى بدعم إثيوبي وإماراتي واسع النطاق، الأمر الذي يعزّز فرضية تبلور «تحالف» يربط هذه الأطراف في دوائر البحر الأحمر والقرن الأفريقي ووسط القارّة الأفريقية. وتستضيف أديس أبابا، على سبيل المثال، مقرّ السفارة الإسرائيلية المعتمَدة لدى بوروندي، فيما تدعم أبو ظبي نظام الرئيس الأوغندي، يوويري موسيفيني، وتحرّكاته الإقليمية في ملفات السودان وجنوب السودان ومياه النيل.

ويأتي ذلك فيما تظلّ صلة النخب الأفريقية بالقضية الفلسطينية محكومة بإشكالية تاريخية، تتمثّل في تبنّي معظمها، بشكل لافت، السردية الاستعمارية الرسمية، التي قدّمت فلسطين باعتبارها «أرضاً بلا شعب»، أو على أنها أرض تفتقر إلى تاريخ حقيقي خارج الروايات الصهيونية واليهودية. وكانت ظهرت هذه السردية في كتابات شخصيات أفريقانية بارزة، من بينها كتابات أحد أبرز رؤاد الحركة الأفريقانية المناهضة للاستعمار، الرائد الترينيدادي جورج بادمور (1903-1959)، في ما رواه عن فترة وجوده في فلسطين إبّان الانتداب البريطاني؛ وكذلك لدى الرئيس الغاني الأسبق، كوامي نكروما، الذي بلغ عمق علاقته بإسرائيل حدّ تسخير أسطول شركة «بلاك ستار» الغانية لخدمة تجارة الكيان المارّة في قناة السويس - خلال خمسينيات القرن الماضي -، علماً أن نكروما ظلّ، حتى إطاحته في انقلاب شباط 1966، متمسّكاً بضرورة فصل القضايا الأفريقية عن قضية فلسطين. ولئن اختلفت أسباب هذه الإشكالية أو تماثلت - باختلاف الحالات أو تماثلها -، فالأكيد أن كثيراً من الحكومات والأنظمة الأفريقية لا تستند في الأساس إلى شرعية شعبية حقيقية، ولا حتى إلى حالة دستورية رسمية، إنما تعتمد على الدعم الخارجي لضمان بقائها وتمرير سياساتها («التنموية»، التي باتت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بأدوات «الاستعمار الجديد»، وكفيلة باستدامة نهب موارد شعوب القارّة مقابل أثمان زهيدة للغاية. وفي ضوء ذلك، تجاوزت الهيمنة الإسرائيلية في عدد من الدول الأفريقية مرحلة العمل على تأمين التأييد الأيديولوجي والسياسي للكيان، إلى إشراكها في تأمين نجاح السياسات الإسرائيلية في فلسطين، وخصوصاً في قطاع غزة. وفي هذا السياق، أعلنت أوغندا وبوروندي عزمهما المشاركة في «قوة الاستقرار الدولية» التي يشرف عليها «مجلس السلام»، بدعم إسرائيلي - أميركي كامل، والمُزمع نشرها في القطاع، فيما أفاد مسؤولون عسكريون من البلدَين، عقب محادثات مشتركة أجريت في إسرائيل أواخر آب، بأنه جرى بالفعل اختيار العناصر المرشّحة للمشاركة في المهمّة، علماً أن الدولتَين تمتلكان خبرة واسعة في مثل تلك المهمّات، بعدما أسهمتا بأعداد كبيرة من الجنود في بعثات «حفظ السلام» في الصومال طوال أكثر من عقد.

من جهتها، أعلنت حكومة يوري موسيفيني الأوغندية، في 24 آب، التزامها بتقديم 1200 جندي أوغندي لـ«قوة الاستقرار»، فيما تشير مصادر متنوّعة إلى أن كمبالا تضع اللمسات الأخيرة على مشاركتها تلك. أمّا بوروندي، فلم يتحدّد بعد حجم القوة التي تعتزم إرسالها إلى غزة، فيما من المتوقّع أن يبلغ عديدها نحو 20 ألف جندي، بما يتجاوز نظيرتها الأوغندية، علماً أن حسم القرار، حتى الآن، يرتبط بالمقابل الذي ستحصل عليه غيتيغا لقاء المشاركة في «القوة الدولية»، وفقاً لمراقبين. وكانت صحيفة «تايمز أوف إسرائيل» تحدّثت، في منتصف آب، عن زيارة ضباط كبار من الجيشَين الأوغندي والبوروندي مدينة رفح جنوبي القطاع، في إطار عملية مسح ميداني للموقع قبل الانتشار؛ الأمر الذي يعزّز احتمال اقتراب غيتيغا من حسم قرارها، ربطاً باستكمال بنود الصفقة مع إسرائيل. وفي غضون ذلك، توحي طبيعة المناقشات العسكرية الجارية، والتنسيق القائم بين أوغندا وبوروندي، بأن القوات الأفريقية ستُكلَّف بمهمات محدّدة، عملياتياً وجغرافياً، وسيتركّز انتشارها في مدينة رفح بمحاذاة الحدود المصرية. وحتى الساعة، لا يُعرف مستوى التنسيق مع القاهرة في هذا الشأن، مع الأخذ في الحسبان أن الخطوة تحظى بدعم أميركي كامل، وربّما تشمل تحرّكاً من واشنطن لتأمين تمويل خليجي إضافي بغية تحفيز مشاركة القوات الأفريقية.

> **تجاوزت الهيمنة الإسرائيلية في عدد من الدول الأفريقية مرحلة العمل على تأمين التأييد للكيان**

من «مشروع أوغندا» إلى «تحالف عنتيبي»

في ذروة التمدّد البريطاني في شرق أفريقيا، طرحت الإمبراطورية البريطانية، في نيسان 1903، ما عُرف بـ«مشروع أوغندا» أو «برنامج أوغندا البريطانية». وإذ جاء هذا الطرح وقتذاك عقب اجتماعات مطوّلة حضرها تيودور هرتزل في لندن، منذ تشرين الأول 1902، وبعد زيارة خاطفة أجراها وزير المستعمرات البريطاني حينها، جوزيف تشامبرلين، إلى موميا‌سا، فقد قضى بإقامة مستوطنة يهودية تتمتّع بقدر من الحكم الذاتي، على مساحة تقارب 13 ألف كيلومتر مربّع (نحو نصف مساحة فلسطين قبل عام 1948)، في قلب محميّة شرق أفريقيا البريطانية. غير أن تحفّظات جماعات يهودية على المشروع، أبرزها الروسية، حال دون استكماله. ومع ذلك، وصلت نحو 80 عائلة يهودية بصورة منفردة إلى موميا‌سا، ومنها إلى هضبة أوسين غيشو (موقع المستوطنة)، قبل أن يُطوى المشروع بصورة شبه كاملة عقب صدور «وعد بلفور».

شكّلت هذه الخلفية التاريخية، أساساً - وإن كان زائفاً في جوهره - لبناء علاقات وطيدة بين إسرائيل وأوغندا منذ استقلال الأخيرة عام 1962. ويرى مؤرّخون إسرائيليون أن أوغندا، إلى جانب كينيا، احتلّتا موقعاً أساسياً في استراتيجية ديفيد بن غوريون المعروفة بـ«حلف الأطراف»، إذ لعبت الأولى الدور الأبرز في تمرير الأسلحة الإسرائيلية إلى جنوب السودان بين عامَي 1967 و1969. ثم عزّز الديكتاتور، عيدي أمين دادا، علاقات بلاده بإسرائيل على نحو غير مسبوق، بعدما كان أبدى إعجاباً كبيراً بها خلال تولّيه وزارة الدفاع في عهد سلفه، ميلتون أوبوتي، قبل انقلابه عليه واستيلائه على السلطة (1971-1979)، بدعم إسرائيلي. وعلى خُطى سلفه أمين، ينظر موسيفيني إلى العلاقة مع إسرائيل باعتبارها ضمانة لاستمرار حكمه، ثمّ لإنجاز مشروع توريث ابنه، الجنرال موهوزي كاينيروغابا، قائد القوات المسلّحة الأوغندية. وكان الأخير أعلن، في 25 آب، استعداده لتولّي منصب رفيع عام 2031، وذلك بعد أيام من حضوره حفل إزاحة الستار عن تمثال يوناتان نتنياهو في مطار عنتيبي، فيما تشير تقارير أوغندية إلى أن كاينيروغابا يتولّى مهمّة تعميق العلاقات مع إسرائيل، ضمن مجموعة من الملفات التي يديرها استعداداً لخلافة والده، وتشمل ترسيخ ما يُعرف بـ«تحالف عنتيبي» بين تل أبيب وكمبالا، تحت عنوان محاربة إيران.

وسبق للقائد الأوغندي أن أعلن، في تصريحات لافتة في آذار الماضي، أنه «فيما يريد العالم وضع نهاية للحرب في الشرق الأوسط، فإن أيّ حديث عن تدمير إسرائيل أو هزيمتها سيدفع أوغندا إلى القتال في جانبها»، مؤكداً عمل بلاده على إقامة تمثال ليوناتان نتنياهو - وهو ما تحقّق أخيراً -، كخطوة لتوطيد ما سمّاه «أواصر الدم (الأوغندي) مع إسرائيل». وللمفارقة أيضاً، فإن موسيفيني، الذي استضافت بلاده قمّة «دول عدم الانحياز» في كمبالا عام 2024، ثمّ قمّة المراجعة في نهاية 2025، ورفع صوته بمناهضة الاستعمار وإرثه في العالم، ينخرط اليوم في خدمة الإمبريالية الأميركية - الإسرائيلية، وذلك عبر وضع «قوات الدفاع الشعبية» الأوغندية في تصرّف مشروع يهدف إلى نزع سلاح المقاومة الفلسطينية بمختلف فصائلها، وتحويل فلسطين إلى مستعمرة أميركية. واللافت أن هذه السياسة تحظى بدعم ديني ملحوظ في أوغندا، ولا سيما من رجال دين مرتبطين بمؤسّسات الدولة الرسمية؛ وهذا ما عبّرت عنه مثلاً - منتصف آب - مواقف جون ناميبشي، القائم بأعمال رئيس «منصة الوحدة الوطنية»، التي أيّدت بدورها قرار المشاركة، وإن عبّرت، خلال مداولات البرلمان الأوغندي، عن مخاوف تتعلّق بالإجراءات والرقابة والظروف التي ستعمل فيها القوات.

وهكذا، تكشف مواقف موسيفيني، الأب والابن، عن دورة جديدة من خدمة المصالح الإسرائيلية في وسط أفريقيا وشرقها، والاستعداد لتقديم كلّ ما يلزم في هذا السياق؛ من دعم «قوات الدعم السريع» سياسياً ولوجستياً، إلى تهديد مصالح مصر في الوصول الآمن والمستدام إلى مياه النيل، مروراً بتعزيز المشروع الإماراتي الهادف إلى نهب موارد جمهورية الكونغو الديمقراطية، وغيرها من المسائل. والملاقت أن كلّ ذلك يترافق مع رفع شعارات أيديولوجية مُجرّبة، من قبيل الدعوة إلى ضرورة تداول السلطة، وهو الشعار نفسه الذي رفعه موسيفيني الأب قبل أكثر من أربعة عقود عند وصوله إلى الحكم.

إسرائيل وبوروندي: ضبط الجغرافيا

تكشف خطوة مشاركة قوات بوروندية في القوة التابعة لـ«مجلس السلام» في غزة، عمق العلاقات بين غيتيغا وتل أبيب، إذ توفّر الأخيرة دعماً للأولى في مجالات التعليم (خصوصاً في «جامعة بوروندي»)، بالإضافة إلى مجالات الزراعة والدفاع وإنتاج الطاقة والصحة، وذلك من خلال «الوكالة الإسرائيلية للتعاون الإنمائي الدولي» (ماشاف) التابعة لوزارة الخارجية، والتي تتولّى إدارة جانب أساسي من هذه الأنشطة.

ولا تبدو الحركة الإسرائيلية في بوروندي، والاستجابة الإيجابية التي تبديها الأخيرة، منفصلةً عن نشاط إسرائيل وأذرعها المختلفة في جمهورية الكونغو الديمقراطية، حيث تقدّم أحياناً دعماً مشروطاً لطرفَي الصراع. والجدير ذكره، هنا، أن خبراء إسرائيليين انخرطوا، في ربيع عام 2026، في النزاع عبر شركة «بلاك ووتر»، بعدما أعلن مؤسّس الأخيرة، إريك برنس، نشر قوة أمنية خاصة لتشغيل طائرات مُسيّرة ومساعدة كينشاسا في تأمين مدينة أوفيرا الاستراتيجية، الواقعة على الحدود مع بوروندي، في مواجهة المتمرّدين المدعومين من رواندا.

وبصورة أعمّ، يمكن النظر إلى الحركة الإسرائيلية النشطة في وسط أفريقيا وغربها، بالتوازي مع النشاط الدؤوب في القرن الأفريقي، باعتبارها مساراً مترابطاً يهدف إلى تكريس نفوذ إسرائيلي متّصل جغرافياً، يبدأ من إقليم «أرض الصومال» شرقاً، ويمتدّ عبر إثيوبيا وجنوب السودان وأوغندا ورواندا وبوروندي، ثمّ جمهورية أفريقيا الوسطى والكاميرون، وصولاً إلى عدد من دول غرب أفريقيا. وإذ يؤسّس هذا المسار لما يمكن تسميته «الحزام الإسرائيلي» في أفريقيا، فهو ينبئ بما يتجاوز استعادة سياسة «حلف الأطراف» التي انتهجها بن غوريون - القائمة على اختيار «نقاط ارتكاز» عند أطراف العالم العربي -، إلى محاولة إقامة طوق جغرافي متجانس، يلتفّ حول هذا «العالم» بشكل خانق، وربّما يفتح الباب، لاحقاً، أمام تآكل ما تبقّى من تماسكه وأمنه القومي، بل ومقوّمات وجود بعض دوله.

إسرائيل تسعى إلى تثبيت نفوذ جغرافي متصل يمتد من القرن الافريقي إلى قلب القارة (من الويب)

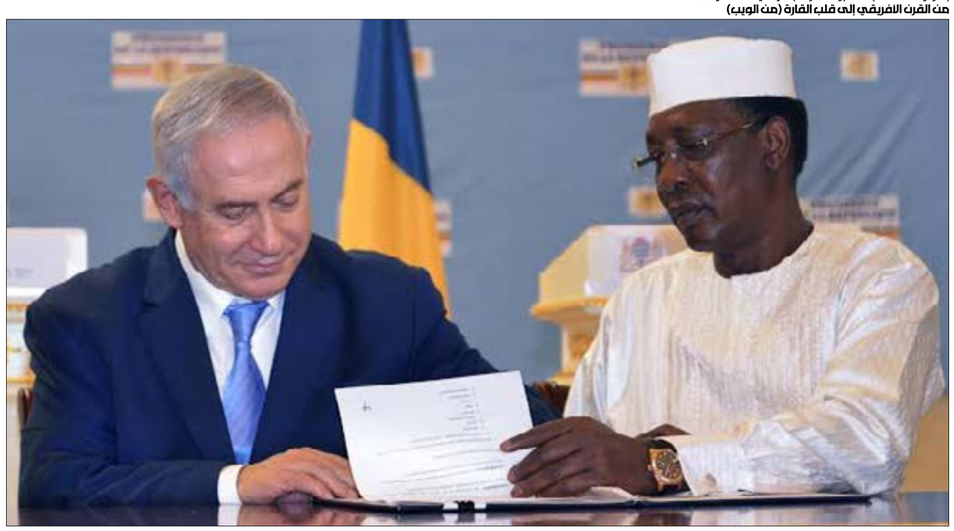

تقرير

انتخابات ألمانيا المحلية
نهاية مبكرة لعهد ميرتس

لندن - سعيد محمد

تشهد ولاية ساكسونيا - أنهالت الألمانية، غداً الأحد، تصويتاً إقليمياً يفوق في رمزيته وثقله السياسي حجم الولاية -التي يبلغ عدد سكّانها نحو مليوني نسمة-، وذلك بعدما وضعت استطلاعات الرأي حزب «البديل من أجل ألمانيا» فوق حاجز الأربعين في المئة من الأصوات. وبهذه النتيجة المتوقّعة، يتقدّم «البديل» بفارق واسع على «الاتحاد الديمقراطي المسيحي» الحاكم، الأمر الذي يفتح الباب أمام احتمال قيادة أقصى اليمين إحدى حكومات الولايات، للمرّة الأولى منذ تأسيس الجمهورية الاتحادية بعد الحرب العالمية الثانية.

وتأتي انتخابات ساكسونيا - أنهالت بعد عام ونصف العام تقريباً من الانتخابات العامّة الأخيرة التي أوصلت ميرتس إلى المستشارية على رأس حكومة ائتلافية مع «الاشتراكيين الديمقراطيين»، وذلك عقب حصول تحالف «الاتحاد الديمقراطي المسيحي» و«الاتحاد الاجتماعي المسيحي» على 28,5 في المئة من الأصوات، في مقابل 20,8 في المئة لحزب «البديل» الذي ضاعف كتلته البرلمانية وحصد 152 مقعداً. وكشفت خريطة التصويت يومها انقساماً إقليمياً عميقاً، خصوصاً مع تصدّر اليمين القومي الولايات الشرقية الخمس التي كانت تشكّل جمهورية ألمانيا الديمقراطية ذات النظام الاشتراكي.

اليوم، يخوض ميرتس هذا الامتحان محروماً من رصيد شعبي بحميه داخل حزبه، بعدما أظهر أحدث استطلاع رأي رضى 13 في المئة من المواطنين فقط عن أدائه، مقابل استياء 83 في المئة منهم. كما يواجه «الاتحاد الديمقراطي» سلسلة استحقاقات انتخابية في الولايات الشرقية تشمل مكلنبورغ - فوربومرن وبرلين خلال أيلول الحالي، ثمّ استحقاقات إضافية في 2027، بما يجعل أيّ هزيمة كبيرة في ساكسونيا -أنهالت بداية عملية تراكمية قد تنتهي بتغيير المستشار أو إعادة ترتيب قيادة الحزب المحافظ.

أمام ميرتس الآن مساران انتخابيان يقودان معاً إلى خسارته؛ فاغلبية برلمانية لحزب «البديل» ستدمغ الرجل بوصفه المستشار الذي شهد انتقال اليمين المتطرّف إلى الحكم المحلّي، بينما يفرض فوز حزب اليمين بأكبر كتلة مع بقائه تحت عتبة الأغلبية، على «الديمقراطيين المسيحيين»، تشكيل حكومة مع «الاشتراكيين» و«الخضر» تعتمد في بقائها على أصوات اليسار. ومن شأن ذلك بالطبع أن يمنح اليمين مادة إضافية لتصوير القوى التقليدية كتجمع واحد يتبادل المواقع ويحمي مصالحه.

وتعود جذور الانقسام بين الشرق والغرب إلى مشروع توحيد ألمانيا الذي نُفّذ عبر إدماج الشرق في البنية الاقتصادية والمؤسسية للغرب؛ إذ رافقت الخصخصة الواسعة للمؤسسات العامة موجة إغلاق للمصانع وتسريح للعمال وتراجع للمكانة المهنية لدى مجتمع بنى هويته حول العمل الصناعي. كما أحدثت الاستثمارات الاتحادية تحولاً كبيراً في المدن والطرق والخدمات والبيئة، فيما انتقلت ملكية الأصول ومراكز الشركات ومفاصل القرار إلى الغرب، ليشعر كثير من الشرقيين بالتالي بتقلّص سلطتهم على الاقتصاد والسياسة.

وفي حين استمرّت الفجوة بين الشرق والغرب في التعمق عبر تفاوت الإنتاجية والأجور والثروة الموروثة وحضور الشركات الكبرى، أدت هجرة الشباب المتعلّم إلى إضعاف مدن وبلدات كاملة، وتراجع الخدمات فيها، وارتفاع معدلات الشيخوخة السكانية. ومن ثمّ، جاء تركّز قطاعات النمو الجديدة والصناعات الدفاعية في الغرب ليعزّز الاعتقاد بأن التحولات الاستراتيجية تمنح تلك المناطق الوظائف والاستثمارات، فيما يُطلب من الشرق تأييد سياسات أمنية وعسكرية يتحمّل هو تكاليفها فحسب.

ومن هنا، يُفهم الحنين إلى أيام جمهورية ألمانيا الديمقراطية، حيث ضمان الوظيفة والسكن والرعاية واستقرار العلاقات المحلية. وهو حنين لا يتأخر الحزب اليميني الرئيس في استغلاله، مشتغلاً على قولبة التفاوت الطبقي والإقليمي داخل لغة ثقافية تربط خسارة العمل بالهجرة، وضعف الخدمات بالإنفاق على اللاجئين، وتراجع السيادة بالاتحاد الأوروبي و«حلف شمال الأطلسي» ودعم أوكرانيا. وفي المقابل، تبقى الأسباب المتعلّقة بتوزيع الملكية ورأس المال والاستثمار بعيدة عن برنامج «البديل».

وفي هذا السياق، يُستدعى إرث أنجيلا ميركل -الذي انتقل إلى ميرتس-، القائم على امتصاص مطالب المنافسين، والاقتراب المستمر من الوسط، وإضعاف الفروق البرنامجية بين الأحزاب، وتحويل المعارضة إلى أطراف خارج المجال التقليدي. كما يُستدعى قرارها استقبال اللاجئين السوريين خلال عامَي 2015 و2016، والذي أحدث صدمة داخل مناطق شرقية عانت من فقدان السكان والوظائف -نظراً إلى البطء في معالجة آثار التحول الاقتصادي بعد الوحدة-؛ وهو ما لم يتأخّر «البديل» في استغلاله أيضاً.

كذلك، مثّلت «جائحة كوفيد-19» مصدراً إضافياً لارتياب الشرقيين تجاه المؤسسات والإعلام والخبراء الرسميين، الذي تعزّز أيضاً مع الحرب الأوكرانية، خصوصاً في ظلّ الروابط التاريخية والثقافية والاقتصادية بين الشرق الألماني وروسيا، واعتماد الصناعة الألمانية على إمدادات الطاقة الروسية الرخيصة طوال عقود. ولهذا، يلقى خطاب استعادة العلاقات مع موسكو صدى يتّصل بفواتير الطاقة وفرص العمل، بينما تبدو زيادة الإنفاق العسكري لكثير من الشرقيين سياسة تقرّرها النخبة الغربية وتستفيد منها أساساً مصانع وشركات تقع في ولايات ألمانيا الغربية الثرية.

المقال كاملاً على الموقع

تقرير

الحلقة المفقودة في انتخابات إسرائيل
لا أحد يريد «الخروج» من الحرب

يحيى دبوق

تستعدّ إسرائيل لخوض انتخاباتها التشريعية في 27 تشرين الأول المقبل، وسط تنافس بين معسكرَين في الظاهر: الأوّل، يقوده رئيس الحكومة، بنيامين نتنياهو، وتحالفه المكوّن من أحزاب يمينية ويمينية متطرّفة؛ والثاني يتشكّل من أحزاب وكتل يسارية ووسطية ويمينية أيضاً، وتشوبه صراعات داخلية وحالات تشرذم. أمّا الأحزاب العربية الممثّلة للفلسطينيّي عام 1948، والتي يُتوقّع أن تفوز بما قد يصل إلى 10% من مقاعد الكنيست الـ120، فتبقى خارج الرهان، خصوصاً أن مشاركتها في الائتلافات الحكومية باتت تُنظر كـ«خيانة» في الوعي الجمعي الإسرائيلي اليهودي. وتكمن أهمية هذه الانتخابات، التي تُوصف بالمصيرية في إسرائيل، في أنها تُخاض بعد 3 سنوات من حروب ما زالت متواصلة على أكثر من جبهة، من دون أن تكون الحروب نفسها، في أصل قرارها ونتائجها وتداعياتها، بالضرورة، محلّ تجاذب رئيس بين المعسكرين. فإذا كان نتنياهو يسعى إلى وضع الأمن في صدارة النقاش، مقدّماً السنوات الثلاث الماضية بوصفها سلسلة من الإنجازات العسكرية، فإن خصومه يتطلّعون إلى إبقاء الملفّات الداخلية في الصدارة، مع التركيز على فشل الحكومة الحالية في منع «كارثة» السابع من أكتوبر. وعليه، فلا برامج سياسية تتعلّق باستراتيجيات الخروج من الحالة الحربية، وكأنّ الطرفين «يبصمان» على ضرورة هذه الحالة وصحّتها، ويختلفان على أداء إسرائيل في خلالها وعلى «نقطة الخروج» منها.

وهكذا، بدل أن تنشغل الأحزاب الإسرائيلية في كلا المعسكرين بكيفية إنهاء الوضع المعلّق الحالي، توجّه اهتمامها إلى الانتخابات الداخلية وتشكيل القوائم؛ وتلك مفارقة تستدعي التوقّف عندها، إذ كيف لـ«دولة» خاضت وما زالت تخوض كلّ هذه الحروب على أكثر من جبهة، ألّا تكون صراعاتها الخارجية محلّ تنافس انتخابي بين مكوّناتها السياسية، في انتخابات تشريعية، قرار المؤسّسة السياسية، للسنوات الأربع المقبلة؟ هذا في ما يتّصل بالأحزاب؛ أمّا الجمهور، فيبدو أنه قد فرز تماماً؛ إذ لا تكاد تكون هناك أيّ شريحة لم تقرّر موقفها، أو تحسم لمن ستذلي بصوتها في صناديق الاقتراع. وعليه، فالحملة الانتخابية تُقاد، حالياً، على أساس كيفية عدم تضييع الأصوات، وليس اجتذاب أصوات جديدة؛ بمعنى، أن جهود نتنياهو مثلاً، والكثير من مكوّنات معسكره، تنصبّ على تشكيل قوائم وتكتّلات من أحزاب تضمن من الآن تجاوز العتبة الانتخابية، وبالتالي دون فقدان أصوات ناخبيها إن لم تتجاوز تلك النسبة.

ومن هنا، يُفهم اعتناء نتنياهو بمعركته الانتخابية داخل «الليكود»، حيث يتركّز اهتمامه على تشكيل قائمة حزبية تضمن له السيطرة التامّة على معظم أعضاء «الكنيست» من حزبه، وتمنع تضييع صوت الناخب اليميني وسط تكتّلات وقوائم جديدة صغيرة، قد لا تنجح في الدخول إلى «الكنيست». وبحسب معظم استطلاعات الرأي، فإن كتلة نتنياهو لن تحوز أكثر من 50 مقعداً في حال إجراء الانتخابات، وفق الظروف الحالية، وهو ما يعني ابتعاده عن الأغلبية بما يصل إلى 11 مقعداً، تمثّل فجوة كبيرة في المقاييس الإسرائيلية. في المقابل، يمكن أن تصل حصّة المعسكر المنافس، في حال جمع المقاعد المتوقّعة لأطرافه، إلى ما يقرب من 61 مقعداً، الأمر الذي يمثّل تهديداً لنتنياهو ومعسكره، ويشير منذ الآن إلى أن خسارتها قد تكون محتومة. إزاء ذلك، يسعى نتنياهو إلى حصر الأضرار بدلاً من منعها، مشتغلاً على الحيلولة دون توجّه ناخبي اليمين من «الليكود» إلى أحزاب يمينية أخرى يخشى أن لا تنجح في حجز مقاعد لها في الندوة البرلمانية. ومن هنا، يركّز زعيم «الليكود»، في خطابه الانتخابي، على رفض أيّ حلول أو تسويات في ساحات القتال المفتوحة، وعلى التمسّك بسقوف عملياتية عالية ما دون الحروب الشاملة، مع أفضلية تظهير مشاهد يومية من القتل والتصعيد، سواء في غزة أو الضفة أو أيّ من ساحات المواجهة. ومن هنا، فإن مواصلة القتل اليومي تمثّل جزءاً أساسياً من أدوات معركة نتنياهو الانتخابية؛ إذ في حال توقّف هذه العمليات، مع تظهير رضوخ رئيس الحكومة للضغوط، ستنتقل تقديرات الخسارة من المرجّحة إلى المؤكّدة، وهو ما يعمل على الحؤول دونه.

مع ذلك، تبدو كتلة نتنياهو أكثر تماسكاً من كتلة خصومه، التي تظلّ حتى على افتراض حيازتها أغلبية 61 مقعداً، تعاني المزايدات السياسية والتنافس الداخلي والشروط والشروط المضادّة، وهو ما يجعل من جمع مكوّناتها في حكومة واحدة مهمّة شاقّة بالنسبة إلى أيّ شخصية منها قد تُكلَّف بتشكيل الحكومة. والجدير ذكره، هنا، أن المنافسة على قيادة هذا المعسكر، ما زالت قائمة، بين رئيس الأركان السابق، غادي آيزنكوت، من جهة، ورئيس الحكومة السابق، نفتالي بينت، من جهة ثانية، ووزير الأمن السابق، أفيغدور ليبرمان، من جهة ثالثة.

على أيّ حال، يبدو أن نتنياهو لا يخوض الحملة الانتخابية من أجل الفوز، بل أولاً من أجل عرقلة فوز خصومه بأغلبية واضحة، والدفع نحو تكرار سيناريو عدم الحسم الذي تكرّر بين عامَي 2019 و2020، حين شهدت إسرائيل ثلاث دورات انتخابية متتالية، من دون أن يتمكّن أيّ طرف من تشكيل حكومة. وتكمن خطورة هذا السيناريو، في حال تحقّقه، في أن نتنياهو سيظلّ رئيساً لحكومة انتقالية طوال هذه الفترة، ما يمنحه مزيداً من الوقت للمناورة، وربّما لافتعال مواجهات عسكرية جديدة تؤجّل الاستحقاق الانتخابي إلى أجل غير مسمّى، خاصة أن قرار الحرب والسلم يبقى في هذه الحالة في يده.

> **استطلاعات الرأي تكاد تستقرّ على أن كتلة نتنياهو لن تحوز أكثر من 50 مقعداً**

نتنياهو يحوّل القتل اليومي على جميع الجبهات إلى برنامجه الانتخابي (من الويب)

خطاب برّي حافز انعطاف إنقاذي

سعد الله مزرعاني *

في توقيته ومضمونه يشكّل خطاب الرئيس نبيه بري لحظة مهمة في المسار الداخلي للأزمة اللبنانية. هذه اللحظة قد تتحوّل إلى انعطاف جوهري فيما لو تمّ تجسيدها في خطة إنقاذ بات استمرار غيابها شديد التكلفة: بكل المقاييس الأمنية والاقتصادية والسياسية والمصيرية.

ما قبل الخطاب تفرّد ثنائي الرهان على «الوساطة»/الوصاية الأميركية (عون وسلام)، بتقرير مجمل الموقف الرسمي اللبناني حيال العدوان الإسرائيلي في لبنان وفي المنطقة. الأسلوب المُعتمد مستفزّ لم يراعِ صلاحيات مؤسستي القرار: مجلس الوزراء ومجلس النواب. بالإضافة إلى ذلك اتّسمت المقاربة الرسمية برعونة استثنائية بشأن مجمل مسألة التفاوض عبر العداء لسار إسلام آباد واستعداء إيران في الإقليم وفي لبنان، ولجهة قراري «حصر السلاح» في زمن الاحتلال، ومن ثم قرار تصنيف مقاومي العدو خارجين عن القانون.

ليس هذا فقط. بل إن ثنائي السلطة التنفيذية قد حاول الترويج لمفاهيم قطعية بشأن المقاومة واعتبارها متعارضة مع المصلحة الوطنية ومرفوضة من قبل الأكثرية السياسية والشعبية اللبنانية. هذا إلى التركيز على أنها مُجنّدة لخدمة مصالح خارجية («حروب الآخرين»). كذلك جرى إيهام اللبنانيين بأن المفاوضات التي تلعب فيها واشنطن دور الراعي والوسيط والوصي، هي وحدها التي ستمكّن لبنان من أن يستعيد أرضه المحتلة من قبل العدو الإسرائيلي. تمّ، في السياق، إنكار أي علاقة للمقاومة بمواجهة المحتل. وجرى تكرار الزعم بأن سلاح المقاومة هو سبب الاحتلال والدمار وليس العدو المحتل والطامع. جرى أيضاً الزعم بأن نزع سلاح المقاومة هو السبيل الوحيد والأسرع لتحقيق التحرير والاستقرار! إلى ذلك استعلّت السلطة وحشية العدو في الحرب التي استهدف فيها، بالدرجة الأولى، المدنيين والعمران والبنى التحتية عبر «سياسة الأرض المحروقة» والاغتيالات والتهجير... من أجل تكرار مقولة أن اللبنانيين «سئموا الحرب» في تورية تستهدف إعفاء العدو وداعميه من مسؤولية الاعتداء، تاريخياً، وإلى اليوم، على سيادة لبنان، واحتلال أجزاء من أرضه وصولاً إلى العاصمة نفسها.

في الأثناء، كانت واشنطن تشجّع هذا النهج وتضغط من أجل تلبية كل المطالب والشروط الإسرائيلية بما في ذلك زجّ الجيش في عملية فتنوية داخلية، والسلطة في مباحثات مباشرة مع العدو بـ«وساطة» أميركية، في ظل حرب مستمرة، مرة جديدة، من طرف واحد، لتحقيق أهداف لم يتمكّن العدوان من تحقيقها أثناء المواجهة. تلك الأهداف كانت عبارة عن فرض استسلام كامل على لبنان وتحويله إلى محمية إسرائيلية على غرار اتفاق 17 أيار لعام 1983.

بعد، وخلال، أكثر من شهرين على بدء المحادثات المباشرة، استمر العدو في التوسّع والقتل والتدمير. لخّص بيان الخارجية الأميركية نتائج اجتماع المفاوضات الأول بأن الطرفين يواجهان عدواً مشتركاً هو «حزب الله». استمر التركيز على أولوية نزع سلاح المقاومة، قبل أي انسحاب إسرائيلي حتى في نطاق «المناطق التجريبية» المُقرّة. طوال نحو 70 يوماً تحوّلت المفاوضات إلى مهزلة ماساوية يتمسّك بها الطرف اللبناني على سبيل المكابرة، والإذعان لواشنطن، فيما يزداد الانقسام الداخلي حيث تجوّلت السلطة إلى طرف فيه هو الأكثر تفريطاً وتطرفاً!

في هذا الجو، طُرحت مسألة إشكالية مهمة تصاعدت بشأنها التساؤلات: ماذا عن موقف الرئيس نبيه بري بوصفه رئيساً لمجلس النواب، ولحركة «أمل»، وحليفاً مُفوّضاً لـ«حزب الله»؟ لا شك أن جزءاً من الالتباس والإرباك في موقف الرئيس بري (وموقف «حزب الله» نفسه)، كان ناجماً عن الاختلال في التوازنات إقليمياً ومحلياً، وعن الخسائر الفادحة التي سبّبها العدوان. لكنّ هذا الأمر استُغلّ بخبث مقصود للإحراج، ولزرع الشكوك، ولتمرير التنازلات الجوهرية، ولإحداث تغيير في التوازنات الداخلية، لأسباب متعددة، منها ما يتصل بموقعه في السلطة والمنظومة القائمة، وخشية تداعيات داخلية على السلم الأهلي، وأملاً في وقف العدوان والخسائر... قرّر الرئيس بري علناً وضمناً اختبار المفاوضات التي تحفظ على صيغتها المباشرة ومسارها الإجرائي. تمّ استغلال ذلك إلى الحد الأقصى. لم يتردّد فريق الرئيس عون في تصوير بري شريكاً ضمنياً. الإنصاف يقضي بالتذكير بأن الرئيس بري قد جاهر بموقف كرّره مراراً: العبرة بالنتائج: «جيبو وقف إطلاق النار وخلّة انسحاب، والباقي عليّ».

موقف بري شكّل علامة ضعف في تلك المرحلة. لكنه، في المحصّلة، وبعد فشل الرهانات والمفاوضات، بات بالإمكان تحويل مضمون الخطاب إلى منطلق لمبادرة سياسية جدّية تعيد توجيه البوصلة الرسمية والسياسية في الاتجاه الصحيح.

كان وسيبقى من أهداف ثنائي السلطة التنفيذية والوصي الأميركي والعدو الإسرائيلي، تفكيك التحالف بين الثنائي «أمل» و«حزب الله»، ليست الدعوة الأميركية إلى حوار مباشر مع «حزب الله» بريئة من محاولة خلق أجواء حذر بين الطرفين. صلات الأميركيين دائمة بالرئيس بري. إنها شبه يومية عبر سفارة (قاعدة) عوكر والوفود الأميركية التي «لا يغادر العاشق فيها حتى يأتي المُشتاق»! قد تكون للأمر صلة أيضاً بتقلبات و«شطحات» الرئيس ترامب. كذلك يتعلق الأمر، حتماً، بفشل محاولات واشنطن وتل أبيب لزجّ الجيش اللبناني في صراع دموي مع حزب الله (فتنة)، ما يُضعف الطرفين ويجعل لبنان لقمة سائغة لسيطرتهما. ثم إن فشل المفاوضات سينعكس سلباً على الدور الأميركي وعلى السلطة اللبنانية خصوصاً.

موضوعياً، خطاب بري (بعد فشل المفاوضات) يتيح إطلاق عملية سياسية ذات بعدين: الأول، في جانب الفريق المعارض لنهج السلطة ولو جزئياً، بما يمكّنه من التوحّد ويزيد من فاعليته.

الثاني، إطلاق مبادرة لوقف نهج «التفرّد» والعودة إلى الحوار الوطني وصياغة موقف لبناني جديد، رسمي وسياسي، بشأن طبيعة الصراع وأولوية وقف العدوان وانسحاب المحتل واختبار «الصديق» الأميركي على هذه القاعدة.

معالجة الخلل في الموقف الرسمي اللبناني هي المبتدأ، وهي الخبر!

* كاتب وسياسي لبناني

التجوال بين اليسار واليمين في سيرة وليد جنبلاط [4]

أسعد أبو خليل *

هذه سلسلة مراجعة لمذكّرات وليد جنبلاط، «قَدَرُ في هذا المشرق: من الحرب الأهليّة إلى السّلام المستحيل» في نسختها العربيّة. يتكلّمُ وليد جنبلاط (بالمناسبة، ورداً على استفسار وردني، عندما أكتبُ جنبلاط من دون تحديد الاسم الأوّل أكون أقصد وليد جنبلاط، لا كمال جنبلاط) على أبيه بصراحة وعفويّة وعاطفة نادرة التعبير عند السياسيّين في لبنان. يقول: «لقد أحببتُه حبّاً عميقاً» (ص. 29). يعترف بجذور كمال الإقطاعيّة لكنّه يُضيف أنّه (أي والده) كان «رجلاً حرّاً وسخيّاً». يُثني على جفاظه «على التوازنات» الهشّة بين الطوائف. وهذا صحيح، إنّ جنبلاط كان عماداً أساسيّاً في العهد الشهابي وعهد الحلو (المُناقِض له) لحماية لبنان -أو النظام- من الاهتزاز. وكان عنصر تهدئة في صفّ الحركة التقدّمية والقوميّة في لبنان في وجه تيّار جارف من الثوريّة والتغيير. لكنّه، للأمانة، ناضل (شبه وحيد) لنيل حقّ التنظيم والتمثّل للأحزاب القوميّة العربيّة واليساريّة في لبنان. كانت الكُتل الحاكمة -مسيحيّةً وإسلاميّةً- صريحة في رفْضها منْح حقّ التنظيم لأحزاب اليسار والقوميّة في لبنان). كان كمال جنبلاط صِلة الوصل الوحيدة بين النظام والمعارضة النامية، لكنّه قطع مع النظام عندما قرّرَ الخوض في مشروع الحسم العسكري ضدّ القوى الانعزاليّة في عام 1976 (لنا عودة لذلك).

> هو مُحقّ في أنّ الانقسام في لبنان لم يكن فقط حول الموقف من القضيّة الفلسطينيّة بل حول «طبيعة النظام السياسي». هذا مطموس في السّيَر السائدة عن الحرب الأهليّة

يقول جنبلاط عن المدينة التي ترعرع فيها: إنّ «بيروت كانت... مدينة سعيدة ولا تعرف القلق» وإنّ لبنان كان «منارةً للشرق الأوسط» (ص. 29). لكنّ السؤال البديهي: فمَن كان سعيداً ومَن كان تعيساً في بيروت في ذلك الحين؟ هل كان قاطنو ما سُمّي بحزام البؤس الذي لفّ العاصمة سعداء؟ هل كان التلاميذ في المدارس الرسميّة، الذين كانوا يرتجفون من البرد في الشتاء، سعداء؟ والقلقُ؟ ألم يكن الشعور الطاغي عند الفريق الأغلب من اللّبنانيّين؟ حتى كمال جنبلاط كان يفصل، طبقيّاً، بين الـ٩٠٪ من الأثرياء والمنتفعين وباقي الشعب. ولماذا اندلعت الحرب إذا كانت العاصمة سعيدة قبل الحرب؟ هذا كان نقول إنّ موسكو أو باريس أو هايتي كانت سعيدة قبل الثورات الكبرى فيها. هذا شعور يَنمّ عن حظوظ طبقيّة وسياسيّة في لبنان، ولا يمكن تعميمه على باقي الشعب. أمّا كون لبنان منارة: فلا شكّ أنّ لبنان كان ولا يزال البلد الأكثر حرّيةً في كلّ الشرق الأوسط (وليس فقط في العالم العربي لأنّ لبنان كان ولا يزال أكثر تقدّماً في الحرّيّة عن إسرائيل، وهو أكثر احتراماً لتمثيل الفئات من النظام السياسي الإسرائيلي وبخاصّة أنّ لبنان أعطى نصف المقاعد والحصص السياسيّة لأقليّة طائفيّة بهدف «الطمانة السيكولوجيّة». هل تتصوّر أن تفعل إسرائيل ذلك بالنسبة إلى العرب هناك؟) لبنان كان منارةً في النشر والتعبير والتحدّي السياسي وفي منْح حرّية التنظيم (تدريجيّاً وبسبب نضالات الجماهير وليس كمِنّة من النظام للشعب). لكنّ لبنان كان أيضاً وكراً للتآمر والتجسّس وبخاصّة لعمليّات الإرهاب والتخريب الإسرائيليّة: كان لبنان مقرّاً لـ«الموساد» في العالم العربي. عمليّة إيلي كوهين في سوريا كانت لها ارتباطات مبكّرة في لبنان. ويضيف جنبلاط أنّ الشباب اللّبناني لا يريد إلّا «العَيش بسلام». هنا، على جنبلاط أن يلحظ أنّ الشباب اللّبناني يختلف على معايير السلام وشروطه. لا، ليس كلّ الشعب اللّبناني مُجمعاً على الأمر. هناك من يرى أنّ السلام مع إسرائيل (مع أنّ جنبلاط لم يذكر السلام مع إسرائيل هنا) هو الطريق إلى العيش الكريم والرخاء والازدهار، حتى إنّ النائب التغييري، مارك ضو، ربط بين تحقيق السلام مع إسرائيل و«عودة الودائع» (هل الودائع في رحلة خارجية كي تعود؟ وأين هي؟). هناك مَن يفضّل الكرامة على العيش الصعب والضنك والضيق. لكنّ هناك مَن يسخر من شعارات الكرامة (مثل صفّ إعلاميّي لبنان في الخليج) وهناك مَن يرى أنّ الكرامة هي جوهر الحياة. عبد الناصر لخّص ثورة يوليو بالكرامة في خطاب المنصّة في عام 1954. الشباب اللّبناني يخضع لحملة بروباغاندا لا سابق لها منذ اغتيال الحريري في عام 2005 وتشكيل أميركا لفريق 14 آذار، الذي كان جنبلاط من أركانه. الوعي الشبابي تغيّر وتمّ دَوس المبادئ السامية.

يتحدّث جنبلاط بصراحة، أيضاً، عن نفسه وعن مرحلة الشباب و«نزقها» (ص. 30). وكان معروفاً بشغفه بالمرح والسيارات والدراجات النارية. لكنّه كان مُسيّساً، وظهر ذلك في سرعة تحمّله المسؤوليّة بعد اغتيال والده. ويذكر السياق التاريخي لاغتيال والده، وهو مُحقّ في أنّ الانقسام في لبنان لم يكن فقط حول الموقف من القضيّة الفلسطينيّة بل حول «طبيعة النظام السياسي». هذا مطموس في السّيَر السائدة عن الحرب الأهليّة. تكاد تنسى أنّ الجميّل وشمعون وصحبهما تسلّحوا وثاروا من أجل الحفاظ على نظام اليمينة المارونيّة السياسيّة في لبنان. كان صائب سلام يلخّص الصراع السياسي بشعار «المشاركة»، وهو تعبير عن سخط المسلمين (وغيرهم) من الإجحاف في توزيع المناصب والمكاسب والمغانم في نظام المحاصصة الطائفيّة. هذه هي «الصيغة» التي دافع عنها بيار الجميّل بشراسة. الصراع في عام 1958 لم يكن للفلسطينيّين أيّ دَور فيه، كما لم يكن لهم دَور في صراعات القرن التاسع عشر. لكنّ القوى الانعزاليّة، وكلّ فريق 14 آذار، أسهموا في الترويج للسرديّة الكتائبيّة عن الحرب وأنّ «مقاومتهم» تصدّت فقط «للغريب الفلسطيني» ولمشروع التوطين. فزاعة التوطين لم تكن واردة في عام 1975 وهي كانت نتيجة دعاية الرجعيّة السياسية الشيعيّة، وبخاصّة الإمام محمد مهدي شمس الدين، قبل أن تتلقّفها الأحزاب المسيحيّة الطائفيّة بعد عام 2005 عندما أعادت كتابة تاريخها في الحرب.

إنّ التطهير الطائفي في المناطق الشرقيّة ضدّ المسلمين لم يكن من ضمن «مقاومة التوطين». وبيار الجميّل كان يهاجم، في تصريحاته اليوميّة، اليسار اللّبناني أكثر بكثير من هجومه على المقاومة الفلسطينيّة. كان دائماً يقول إنّ التفاهم مع المقاومة الفلسطينيّة أسهل من التفاهم مع اليسار اللبناني.

يُحدّد جنبلاط هويّة المتصارعين في الحرب في عام 1975 كما يلي: «دار القتال بين قوى اليمين، وعلى رأسها حزب الكتائب... وبين اليسار الداعم للقضيّة الفلسطينيّة، والمنادي بعروبة لبنان» (ص. 30). هذه هي الحقيقة. المقاومة الفلسطينيّة كانت تعادي وتقاوم دعوات حلفائها اللّبنانيّين (اليساريّين والتقليديّين) للانخراط المباشر في الحرب الأهليّة. لكن لم يكن اليسار وحده الذي يقاتل: كانت هناك فصائل وقوات غير يساريّة في الشياح وغيرها: «قوات حسين الانتحاريّة» و«أمل» وغيرهما أيضاً شاركوا في القتال.

وطرْح شعار «عزْل الكتائب» من قبل المقاومة الفلسطينيّة والحركة الوطنيّة كان تخفيفاً للضغط على المقاومة من قبل جمهورها للتدخّل العسكري المباشر ضدّ «الكتائب» (أخبرني المؤرّخ الراحل، وليد الخالدي، أنّه تشاجر -لفظاً- في منزله ليلة بوسطة عين الرمّانة مع ياسر عرفات -بحضور أبو جهاد- في مسألة شعار العزْل، وكان الخالدي يحذّر عرفات منه فيما كان الأخير متمسّكاً به). وحتى في الاشتباكات بين الجيش اللّبناني والمقاومة الفلسطينيّة في أيّار 1973، كان اللّبنانيّون مشتركين بقوّة ضدّ الجيش. ننسى أنّ الكثير من اللّبنانيّين كانوا آنذاك أعضاء (وبمرتّبات في كثير من الأحيان) في الفصائل والتنظيمات الفلسطينيّة. كان الانضمام إلى قوات الثورة إمّا انتهازيّة وارتزاقاً عند البعض أو تعبيراً عن ثورة ضدّ الواقع السياسي اللّبناني وطريقة للدفاع عن النفس في وجه الهجمة الكتائبيّة (التي بدأت في بداية السبعينيّات في حرم المدارس والجامعات اللّبنانيّة -هكذا برز دَور بشير الجميّل أوّل ما برز وهو الذي شكّل فرقة اشتباك وتخريب وكانت تنسّق مع إدارة الجامعة الأميركيّة في قمْع الحركة الطالبيّة- اعترف جورج فريحة بذلك في شهادته). يقول جنبلاط إنّ القتال ضمّ الحزب التقدمي الاشتراكي. لا، كانت مشاركة الحزب محدودة للغاية وكان كمال جنبلاط حريصاً (ربما بحكمة، نظراً إلى ما جرى في ما بعد في الجبل) على أن يبقى الجبل في منأى عن الحرب. وكان الحزب التقدمي بومها يضمّ الكثير من المسلمين والمسيحيّين. لكنّ ابتعاد الحزب عن القتال فاقم النقمة عند المسلمين الذين تأثّروا بخطاب القوى والزعامات الإسلامية التقليديّة التي كانت تعترض على زعامة جنبلاط عند المسلمين بالقول إنّه يستخدمهم في مشاريعه الطائفيّة والحزبيّة. يقول جنبلاط إنّ اغتيال والده أدّى إلى تدخّل «طرفين خارجيّين على خطّ الصراع»، وهو يعني سوريا وإسرائيل. لا، إنّ التدخّل العسكري والأمني السوري بدأ قبل ذلك بكثير. وتسليح المقاومة الفلسطينيّة كان يمرّ عبر سوريا، وكان الدعم يرتفع أو يتدنّى بناءً على علاقة النظام البعثي بسليمان فرنجيّة أو بياسر عرفات. لم تثبت علاقة التحالف بين النظام البعثي وسليمان فرنجيّة إلّا بعد اغتيال طوني فرنجيّة. أمّا إسرائيل، فلدينا الكثير من الوثائق كي نجزم أنّها كانت تتدخّل في الشأن اللّبناني منذ تأسيس الكيان الصهيوني على حدودنا (استعمل جوزيف عون تعبير «الجار» عن إسرائيل، وأوّل وصْف لإسرائيل بالجار كان من قبل حليف رفيق الحريري، فريد مكاري، بعد اغتيال الأوّل). وقرأنا في الصحف أنّ وليد جنبلاط أهدى كتاب «المتاهة اللّبنانيّة» إلى أحمد الشرع، والكتاب يتضمّن توصيفاً دقيقاً وتفصيليّاً لعلاقة إسرائيل بقوى لبنانية من مختلف الطوائف.

أمّا عن «الاستراحة القصيرة» بعد حرب السنتَين في عام 1976، فهي انتهت لسبب واحد فقط: القوى الانعزاليّة كانت تعدّ للمعركة إعداداً جيّداً وكانت تتلقّى التسليح والتمويل من إسرائيل ومن دول عربيّة وإيران ودول الغرب. المؤامرة كانت، بجدّ هذه المرّة وليس كما تقول الشعارات، مستمرّة. وكانت طموحات بشير الجميّل تكبر. في المقلب الآخر، لم يكن هناك أيّ استعداد جدّي. خُفّضت الحركة الوطنيّة من سقوف طموحاتها وانتقلت من محور سوريا إلى محور مصر السادات ثم إلى محور سوريا مجدّداً بعد اغتيال كمال جنبلاط.

ويقول جنبلاط: «الصراع الذي بدأ محليّاً، سرعان ما حوّلته التدخّلات الخارجيّة إلى صراع إقليمي» (ص. 31). العلاقة بين التدخّل الخارجي والصعيد الداخلي لتوريط واستجداء تدخّل خارجي هي علاقة جدليّة. تعترف «القوّات اللّبنانيّة» بأنّهم أرسلوا (في وقت يسبق السنة التي يعترفون بها بسنوات طويلة) في طلب تدخّل إسرائيلي، فيما كانت الحركة الوطنيّة تستنجد بالعراق حيناً وبمصر السادات حيناً آخر ضدّ التدخّل الخارجي. هذا بلد وُلد على يد قابلة قانونيّة فرنسيّة ثم انتزعته بريطانيا من يد فرنسا كي تعلنَ «استقلاله».

(يتبع)

* كاتب عربي

حسابه على إكس «@asadabukhalil»

ملاحظات على هامش المذكّرات

الشيخ ماهر حمود *

لقد اشتهر الزعيم وليد جنبلاط بأنه السياسي الوحيد الذي يعتذر عن أخطائه بشهامة نادرة. نذكر ذلك أثر حرب «العلمين» في بيروت في تشرين الثاني عام 1985، ثم اعتذاره عن تلقّي رشوة من صاحب مسبح الكوستا برافا، ومثال هذا كثير... الخ. وهي حسنات توجب الاحترام، لكنّ جنبلاط نفسه، وفي معرض ما أورده في مذكّراته الشخصية، قد بالغ في إدانة نفسه وحزبه وفريقه والحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية، وصولاً إلى جلد الذات، وإن كان قد تفلّتت منه عبارات يؤكد من خلالها التزامه بالأهداف الكبرى التي انطلقت من أجلها الحركات الوطنية والمقاومة الفلسطينية.

لكنّ هناك أموراً تستوجب التوقّف عندها في كتاب مذكّرات جنبلاط منها: معضلات عجز الجميع عن الإجابة عنها، ومنهم جنبلاط، مثل:

أولاً: أهم ما في الكتاب، الإشارة إلى أن الذي حرّض الشهيد كمال جنبلاط على الهجوم على سوريا، وخاصة على الطائفة العلوية، من منطلق مذهبي محض، هو درزي من فلسطين المحتلة، استطاع أن يكسب ودّ كمال جنبلاط بشكل لافت، واستطاع أن يشاطره الجلسات الخاصة، ثم تبيّن أنه على علاقة بالسفارة البريطانية، وتبيّن أن دبلوماسياً بريطانياً من أصل لبناني سأل عنه لاحقاً، بعدما طرده وليد جنبلاط من قصر المختارة.

هذه الإشارة كافية لتأكيد نظرية المؤامرة، حيث إن وليد جنبلاط يؤكد أن الذي دفع الأسد إلى اغتياله والده، ليس معارضته للدخول السوري إلى لبنان عام 1976 فقط، بل الهجوم المقذع على الطائفة العلوية، ولقد قال ذلك في أكثر من مناسبة. والسؤال يصبح: كيف استطاع إنسان مثل حافظ العجمي أن يؤثّر على غلم من أعلام الثقافة والفكر، وخبير في التاريخ الإنساني، مثل كمال جنبلاط، لا شك أنه تلقّى تدريباً عالياً جدّاً لدى أجهزة المخابرات التي تهدف دائماً إلى تحقيق مبدئها الأشهر «فرّق تسد» بزرع الشقاق والنزاع بين فئات المجتمع، وتبقى الفتن على أنواعها هي سلاح الاستعمار الأقوى.

ثانياً: هناك تناقض حادّ بين حقوق الإنسان، والعدالة وحرية الرأي، والليبرالية، وبين التوجه السياسي الصارم في وجه الغطرسة الأميركية والعربدة الإسرائيلية. وسؤالنا هو: هل يستطيع أي نظام أن يعطي الحرية للأحزاب السياسية ويسمح بحرية الصحافة والتعبير، وهو يقود معركة حقيقية ضد مشروع أميركي مستعدّ لأن يسحق الجميع من أجل مصلحة أمن إسرائيل. وكلّنا يعلم أن الاختراق الأميركي والغربي بشكل عام للصحافة وللحياة السياسية، أمر سهل جدّاً، بسبب قدراتهم المالية الهائلة، وخبراتهم المخابراتية المتقدّمة، والتي يستطيعون من خلالها إنشاء أحزاب كاملة، وتحريك مجتمع كامل وما إلى ذلك.

وبالتالي، هل كان يمكن لعبد الناصر، مثلاً، أن يقود حرباً ضروساً، بدأت بتأميم القناة والحياد الإيجابي والسد العالي... إلخ، وهناك جهات فاعلة يمكن شراؤها بسهولة أو تسييرها ضد هذه المشاريع التي يعتبرها الغرب تحدّياً سافراً لسلطاته، خاصة في تلك المرحلة؟

هل كان حافظ الأسد يستطيع أن يقف في وجه المشروع الأميركي الذي يهدف إلى إخضاعه، كما خضعت مصر وغيرها، وهو في الوقت نفسه يدعم المقاومة ويفتح لها أبواباً، وأن يترك في الوقت نفسه المجال للمعارضة بأن تستعمل كل القدرات التي تسخّر لها، فتشوّش، بالحد الأدنى، على مشروع كان في وقته تاريخياً؟

أسئلتي لا تعني الدفاع عن القمع والقتل والإرهاب الرسمي، وأنا ومن معي كنّا بشكل أو بآخر بعض ضحاياه، وأنا لا أرضى بذلك أبداً ولا أبرّره، لكنني أحاول أن أقرأ الأمر من وجهة نظر الآخرين، ومن أجل ذلك سمّيت هذا بالمعضلة، وأنا بدوري لا أجد لها جواباً. علماً أننا نحسن الظنّ بالشعارات التي رُفعت من قبل هذه الأنظمة وهؤلاء الزعماء، ولكننا إذا أطلقنا سوء الظنّ وصدّقنا الكثير من الكتب والتقارير التي تؤكد أنها كانت شعارات وهمية، فالأمر يصبح شيئاً آخر بالتأكيد.

ثالثاً: لقد رفع الحركة الوطنية التي كان يرأسها الرفيق جنبلاط شعارات كبرى، لم يتحقق منها الشيء الملموس، وكذلك المقاومة الفلسطينية التي غرقت في التجاوزات، كما كانت تُسمى، وتحوّلت، أو تحوّل بعضها، إلى مجموعات متخصّصة في سرقة السيارات وفرض الخوات وغير ذلك، والدخول في حروب الزواريب والخصومات المحلية، ولكن هذا لا يلغي وجود أبطال، كالذين صمدوا في الشقيف من «الكتيبة الطلابية»، ومَن صمدوا في صيدا وبيروت، وآخرون لا تعلمونهم، الله يعلمهم.

كنّا نظنّ ونأمل أن يكون التيار الإسلامي الشامل هو البديل عن اليسار وإخفاقاته، وعن المقاومة الفلسطينية وتشظّياتها، ولكننا شهدنا أيضاً إخفاقات وانقسامات بشعة. بل وشهدنا أيضاً قدرة المخابرات على اختراق الجسم «الإسلامي»، حيث استطاع الأميركي، بشكل مباشر أو غير مباشر، إنشاء «داعش» وغيرها، وليس كما قال جنبلاط، بالتأكيد، أن سوريا ساهمت في إنشاء «داعش» من خلال إطلاق سراح الأسرى.

رابعاً: يحقّ لجنبلاط التفاخر بمصالحة الجبل مع البطريرك صفير عام 2001، وهي خطوة تاريخية، وفيها تصحيح لخطأ جسيم، لم يكن هو مسؤولاً عنه، فلولا هجوم «القوات اللبنانية» على الجبل خريف 1983، ثم هجوم «القوات» على صيدا ربيع 1985، لما حصل تهجير للمسيحيين. ومن المفيد التنويه بنصيحة جنبلاط لبشير الجميل عام 1982 ثم للأباتي نعمان وغيرهما، وتحذيره من أن الهجوم على الجبل ستكون له عواقب وخيمة، ولكنهم صدّقوا أن الإسرائيليين سيكونون عوناً لهم وسندأ، فوقعوا في الفخ. لكن هل أنهت المصالحة المشكلة، وهل اتّعظ اليمين المسيحي الانعزالي، وها نحن نسمع اليوم أصواتاً تريد الصلح مع إسرائيل، وتعتبر أن تسليم سلاح المقاومة سيؤمّن الأمن والسلام والازدهار للبنان. وبالنسبة إلينا، فإنّ مشكلة اليمين الانعزالي أنه يأخذ معه الأبرياء والمواطنين الأعزاء، شركاء الوطن الذين لا يقوم الوطن من دونهم، لا بد من إيجاد حل لهذه المعضلة، هل نستطيع؟

خامساً: ليسمح لنا وليد جنبلاط أن رأيه في حزب الله ليس صحيحاً، حزب الله كان في السابع من أيار 2008 يدافع عن نفسه، وموقف جنبلاط من شبكة الاتصالات كان خطأ تاريخياً، ومع أنه اعترف بهذا الخطأ، لكنه لم يكن شفافاً بالشكل الذي تعوّدنا عليه، ما يجعلنا ندعوه إلى إعادة كتابة هذه الفقرة بشكل أو بآخر.

أمّا بالنسبة إلى النيترات، فستأتي الأيام لتثبت للجميع أن الذي استقدمها هو العدو الإسرائيلي وهو الذي فجّرها، فالرسالة تقرأ من عنوانها. أمّا الحديث عن تزوير الخرائط لمزارع شبعا وتلال كفرشوبا لتبرير بقاء سلاح المقاومة، فأمر مُستهجن، كوننا نصدّق بالتأكيد الوثائق التي قدّمها أهالي شبعا، فهي أدقّ وأصدق من أي تعليق آخر.

أجزم هنا أن رأي وليد جنبلاط في حزب الله هو غير الرأي الذي ورد في الكتاب، أجزم أنه يحترم حزب الله وإنجازاته، ومَن ينسى أنه شارك في احتفال بنت جبيل الشهير إثر التحرير في عام 2000 وكان حضوره مميّزاً. وكأنّ هذا الكتاب، وقد كُتب بالفرنسية أصلاً، موجّه للرأي العام العالمي وليس للبنان، ولن يكون هذا مبرّراً له بالتأكيد، ولن نبرّر له على الإطلاق تشبيه حزب الله بالحشاشين القتلة المجرمين، لقد ذهب بعيداً في هذا، ولن يصدّقه أحد.

وليد جنبلاط سيبقى بالنسبة إلينا الوطني، العربي، الاشتراكي، المعتدل، الفلسطيني، المقاوم، أمّا الشتائم التي أطلقها مرّات من ساحة الشهداء فليست من سماته رغم أنه ذكرها في كتابه، وكما عوّدنا، وإن طالت به الحياة، سيكتب لاحقاً مراجعاً نفسه ويعتذر عن مبالغاته في 14 آذار، واتهاماته غير المُستندة إلى أدلة، ويعيد التموضع حيث ينبغي أن يكون، حيث شخصيته التاريخية. هكذا نقرأ ما بين السطور: افتخاره بالمشاركة بإسقاط 17 أيار ومواجهته لسياسة أمين الجميل وقتها.

> ليس مطلوباً من جنبلاط ان يغرّد خارج سربه، وان يخالف هذه الموجة العالمية المسعورة التي تحاصر إيران وتتهمها باشنع الاتهامات، ولكن كان من المفترض ان يسير بشكل او بآخر باتجاه الدور الإيجابي الذي لعبته إيران في دعم المقاومة ومواجهة إسرائيل والسياسة الأميركية

سادساً: جزم الرئيس جنبلاط بأن حزب الله هو الذي اغتال رفيق الحريري، استناداً إلى أحكام المحكمة الدولية، التي لا يصدّقها أحد منذ أن بدأت بالمدعوّ ديتليف ميليس وشهود الزور وصولاً إلى انعدام الأدلة إلا اتصالاً هاتفياً واحداً، وقبل ذلك كان يقول سوريا، ففي الأمر تناقض، ولن نستطيع أن نجزم بشيء، لأننا لا نملك في هذا الصدد إلا صدق السيد حسن نصرالله -رحمه الله وأجزل ثوابه- وشفافيته مع فريق عمل يشهد له بالصدق والوضوح. يبقى الأمر معضلة كبرى، ولكن عندما نرى كيف اختفت تلك «السن» التي اكتُشفت في موقع الانفجار وقال التحليل إنها لشاب عاش في الصحراء، نعلم أن في الأمر مؤامرة لإخفاء الحقائق. وما فعله جنبلاط بالاتكال على المحكمة الدولية في جزمه لهوية مَن قتل الحريري، فهو خطأ وليس من شيمه.

سابعاً: بالنسبة إلى الربيع العربي وانتفاضة 17 تشرين 2019، فإن النقاش مع رجل بحجم وليد جنبلاط، القارئ والمثقف، ينطلق من سؤاله إن كان يصدّق أنها ثورات حقيقية. ألم يرَ بوضوح أن أجهزة المخابرات المتعددة عملت على إشعال هذه «الثورات» المصطنعة، وألا يظهر ذلك من سياق الأحداث؟ وسؤالنا، ليس فيه على الإطلاق أي اتهام للمتظاهرين الذين شاركوا بصدق وإخلاص، وهم الأكثرية، ولكن سؤالنا فيه اتهام للجهات التي تملك مفاتيح توجيه غضب الناس واستغلاله. وأظن أن النتائج تؤكد ذلك.

وقد ذكر أبو تيمور أن النافذين في العمل المصرفي هرّبوا أموالهم إلى الخارج، كما ثبت أخيراً أن أنطون الصحناوي هرّب أكبر قدر من الأموال إلى الخارج قبل وبعد 17 تشرين، كما أنه نصح جهات معروفة بأن يفعلوا ذلك. الموضوع لا يحل بهذه البساطة، إنه معضلة، وبالتأكيد إنّ مَن يقف خلف تحركات 17 تشرين 2019 هو مَن نفّذ قراراً خارجياً يهدف إلى إخضاع لبنان.

ثامناً: ليس مطلوباً من جنبلاط أن يغرّد خارج سربه، وأن يخالف هذه الموجة العالمية المسعورة التي تحاصر إيران وتتهمها باشنع الاتهامات، ولكن كان من المُفترض أن يسير بشكل أو بآخر باتجاه الدور الإيجابي الذي لعبته إيران في دعم المقاومة ومواجهة إسرائيل والسياسة الأميركية في المنطقة. ومن المُفترض بتاريخ جنبلاط أن يدين الرؤساء المتغطرسين الغارقين في الاستكبار، المتشيّعين بأوهام الاستعمار، فكيف إذا كان عدو إيران اليوم هو المجنون ترامب؟

تاسعاً: كيف نستطيع أن نرسم الحدود بين تمثيل طائفة، تمحض الولاء الكامل لزعيمها، وتسير مع خياراته كلها، وبين الموقف الوطني الذي يتطلّب أحياناً مخالفة الرأي العام، كما حصل في مواجهة حكمت الهجري، ومواقفه المتصهينة في السويداء، الأمر يحتاج إلى جرأة حقيقية وإلى ميزان دقيق، لا يغيب عنه وليد جنبلاط في أكثر الأحوال، علماً أنه يجب تحية جنبلاط على موقفه الواضح في مواجهة اتفاق الإطار «السخيف»، وإن لم يكن قد رافقته مواقف أخرى ضرورية في موضوع التفاوض المباشر وغير ذلك.

وأخيراً، نقول لوليد جنبلاط: هذا الكتاب ليس أنت، أو بالأحرى أكثره ليس أنت!

* رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المقاومة

الكرة اللبنانية

النشاط الكروي يعود سريعاً: انطلاق كأس لبنان بـصيغة جديدة

لن يغيب النشاط الكروي اللبناني أكثر من 35 يوماً منذ انتهاء الموسم الماضي بتتويج الأنصار بطلاً للدوري في 2 آب الماضي. وانطلاق الموسم الجديد غداً الأحد بافتتاح مسابقة كأس لبنان التي ستُقام هذا الموسم بصيغة جديدة. فترة استراحة قصيرة فرضتها ظروف العدوان الصهيوني على لبنان، فتأخرت نهاية الموسم الماضي، وكان لا بد من إطلاق الموسم الجديد في مواعيده المعتادة

عبد القادر سعد

تنطلق مسابقة كأس لبنان لكرة القدم غداً الأحد بصيغة جديدة تهدف إلى تأمين فترة تحضير جيدة للأندية اللبنانية قبل انطلاق دوري الدرجتين الأولى والثانية مطلع الشهر المقبل وتحديداً في الثامن من تشرين الأول في ما يتعلّق ببطولة الدرجة الأولى.

تم تقسيم الأندية الستة عشر التي ستخوض منافسات الدور الـ16 على أربع مجموعات بواقع 12 نادياً من الدرجة الأولى، وأول أربعة أندية من الدرجة الثانية في الموسم الماضي وهي الإخاء الأهلي عاليه، طرابلس، السلام زغرتا والرسالة طورا.

هدف الاتحاد اللبناني من خلال هذه الصيغة تعويض الأندية عن عدم القدرة على إقامة كأس الاتحاد أو ما كان يسمى سابقاً بالنخبة والتحدي والذي كان يشكل محطة تحضيرية للأندية قبل انطلاق الدوري. فالعدوان الصهيوني على لبنان أوقف النشاط الكروي لما يقارب الثلاثة أشهر ونصف الشهر، قبل أن ينجح الاتحاد باستكمال جميع بطولاته بالصيغة ذاتها التي انطلقت عليها. وبالتالي استمر الموسم الكروي حتى 2 آب الماضي ما ترك فترة راحة قصيرة للأندية قبل انطلاق الموسم الجديد.

قُسمت الأندية الستة عشر على أربع مجموعات حيث تضم المجموعة الأولى الأنصار والمبرة والبرج والسلام زغرتا. أما الثانية، فتضم جويا والحكمة والتضامن صور والرسالة طورا. وتضم المجموعة الثالثة أندية النجمة والصفاء والراسينغ وطرابلس. أما الرابعة، فتضم العهد وشباب الساحل والرياضي العباسية والإخاء الأهلي عاليه. وستتنافس الأندية بنظام الدوري من مرحلة واحدة، إذ يتأهل إلى ربع النهائي الأول والثاني من كل مجموعة، ليقام هذا الدور بعد انتهاء مرحلة الذهاب من الدوري اللبناني.

وانطلاقاً من كون الهدف من بدء المسابقة مبكراً هو تأمين فترة تحضير للأندية، فقد جرى وضع نظام فني جديد للمسابقة ينص على السماح لكل نادٍ بإشراك عشرة لاعبين غير موقعين على كشوفاته في الاتحاد، بشرط تقديم لائحة بأسمائهم وصور هوياتهم أو جوازات سفرهم إلى الاتحاد قبل انطلاق المسابقة بـ72 ساعة.

وعليه، ستتمكن الأندية من تجربة بعض اللاعبين وخصوصاً الأجانب في هذا الدور الذي ينتهي في عشرين أيلول لمعرفة مستواهم قبل التعاقد معهم، خصوصاً أن عدد اللاعبين الأجانب في الموسم المقبل قد ارتفع إلى سبعة لاعبين بحق لهم التوقيع على كشوفات النادي في الاتحاد، لكن بشرط إشراك خمسة لاعبين فقط في كل مباراة.

انطلاق كأس لبنان لن يكون فرصة للأندية كي تستعد للدوري فقط، فهو في الوقت عينه فرصة لمثلي لبنان في دوري الاتحاد الآسيوي الأنصار والنجمة كي يخوضا مباريات رسمية قبل بدء معسكرهما التحضيري للدور الأول من المسابقة الآسيوية الذي ينطلق في 23 تشرين الأول المقبل. فالناديان قد يخضعان لمعسكر تدريبي في قطر قبل توجه الأنصار إلى بوتان حيث تقام مباريات المجموعة الأولى، والنجمة إلى طاجيكستان حيث تقام مباريات المجموعة الثانية.

وما قد يساعد على ترجيح كفة إقامة معسكر في قطر، هو نية الاتحاد اللبناني إقامة مباراة الكأس السوبر بين الأنصار حامل لقب الدوري والنجمة حامل لقب الكأس في قطر في 12 تشرين الأول. لكن حتى الآن هذا الموضوع في إطار الكلام من دون اتخاذ قرار رسمي من قبل اللجنة التنفيذية للاتحاد.

بدا النجمة مشوار الدفاع عن لقبه يوم الثلاثاء بلقائه مع طرابلس ضمن المجموعة الثالثة (طلال سلمان)

العين على المجموعة الأولى

وبالعودة إلى كأس لبنان، ستكون العين على المجموعة الأولى التي تضم الأنصار والمبرة والبرج والسلام زغرتا. ففي هذه المجموعة من المفترض أن يلعب المبرة مع فريق البرج غداً الأحد عند الساعة 16,00 على ملعب العهد. هذه المباراة سيكون لها خصوصية معينة بشقين: الأول يتعلق بنادي المبرة والثاني بنادي البرج.

فبالنسبة إلى المبرة، ستكون المشاركة باسم النادي فقط في حين أن اللاعبين سيكونون من نادي الغازية. هذا النادي الذي هو من أندية الدرجة الثانية وقد أتم الاتفاق مع إدارة المبرة على شراء الرخصة واللعب مكانه في دوري الدرجة الأولى لموسم 2026-2027.

حتى الآن لم يصل إلى الاتحاد اللبناني أي كتاب رسمي من النادي يشير إلى أن المبرة لن يشارك في بطولة الدرجة الأولى للموسم المقبل، لكن جميع المعطيات تشير إلى أن الاتفاق قد تم، بدليل أن الغازية قد قام بتسجيل عدد كبير من لاعبيه على كشوف نادي المبرة.

> **هناك حديث عن إمكانية إقامة مباراة الكأس السوبر بين النجمة والأنصار في قطر**

الخصوصية الثانية هي مشاركة نادي البرج. هذا النادي العريق الذي غاب عن إياب دوري الدرجة الأولى في الموسم الماضي بعد إعلان انسحابه نظراً إلى الصعوبات المالية التي يواجهها وانسحاب ممولة الرئيسي فادي ناصر، نجح القيمون على النادي ومحبوه في تأمين ميزانية متواضعة ستسمح له بالمشاركة في دوري الدرجة الثانية. هذا الأمر أعاد الأمل لمحبي البرج وسيشاهدون فريقهم مجدداً في الملاعب اللبنانية، والبداية ستكون من بوابة كأس لبنان.

المرحلة الأولى من الدور الـ16 لمسابقة كأس لبنان ستقام على مدى أربعة أيام، تبدأ غداً الأحد بثلاث مباريات. فإلى جانب مباراة المبرة والبرج، سيلعب الأنصار بطل الدوري اللبناني مع السلام زغرتا في طرابلس عند الساعة 16,00. كما يلعب شباب الساحل مع الرياضي العباسية في التوقيت عينه على ملعب الصفاء.

وتستكمل الجولة الأولى الإثنين بلقاء العهد مع الإخاء الأهلي عاليه عند الساعة 15,00 على ملعب الصفاء، في حين يبدأ النجمة مشوار الدفاع عن لقبه الثلاثاء حين يلعب مع طرابلس على ملعب الشهيد رشيد كرامي. كما يلعب الثلاثاء الصفاء مع الراسينغ على ملعب العهد عند الساعة 16,00.

وتختتم المرحلة الأولى يوم الأربعاء عند الساعة 15,00 بلقاءي الحكمة مع التضامن صور على ملعب الصفاء، وجويا العائد من معسكره التونسي مع الرسالة طورا على ملعب محمد سعيد سعد في جويا عند الساعة 18,00.

منتخب الشباب فرصة جديدة للبنان لبناء المستقبل

لم يكن فوز منتخب لبنان للشباب على قيرغيزستان مجرّد انتصار عابر في تصفيات كأس آسيا لكرة القدم، إذ يبدو واضحاً أن هناك مجموعة من اللاعبين القادرين على تقديم شيء مختلف، إذا ما وجدوا البيئة التي تسمح لهم بالتطوّر.

تأهّل أم لم يتأهّل بعد ختام مباريات التصفيات إلى كأس آسيا يوم غد، فإن منتخب لبنان للشباب (للاعبين دون الـ 20 عاماً) ترك انطباعاً إيجابياً من خلال شغف لاعبين صغار السنّ يملكون نضجاً استثنائياً ورغبةً رهيبة في تمثيل الوطن وتقديم إنجاز إليه.

ولعلّ المشهد الأبلغ الذي يصف هذا الكلام كان وقوف اللاعبين لأداء النشيد الوطني بحماسةٍ لافتة، وترديد كلماته بصوتٍ واحد. وفي بلدٍ اعتاد أن يخسر الكثير من مواهبه قبل أن تصل إلى مرحلة النضج، تبدو هذه الرغبة بمثابة فرصة لا يجوز التفريط بها.

لكن السؤال الذي يفرض نفسه بعد انتهاء التصفيات ليس فقط: هل يتأهل لبنان إلى كأس آسيا؟ بل: ماذا سنفعل بهذه المجموعة بعد التصفيات، أيًا تكن النتيجة؟

المشكلة في كرة القدم اللبنانية لم تكن يوماً في غياب المواهب، المشكلة كانت، ولا تزال، في كيفية التعامل معها. كثيرٌ من اللاعبين يبرزون في منتخبات الفئات العمرية، ثم يختفي بعضهم تدريجياً من المشهد، فيما يتقدّم الخصوم في العمل على تطوير لاعبيهم وتأمين انتقالهم المنطقي إلى المنتخب الأول. هناك تشعر بأن لاعبي هذه المنتخبات سبقونا بسنواتٍ عدة، وارتفع مستواهم المتقارب سابقاً بشكلٍ أكبر، وذلك بسبب خطة العمل المدروسة المبنية على تجمعاتٍ دائمة للفريق، وإقامة معسكرات ومباريات وديّة، وطبعاً الاستعانة بأفضل الأجهزة الفنيّة المتخصصة بالعمل مع الفئات العمرية.

السؤال المطروح بالخط العريض: ماذا سنفعل بهذه المجموعة الموهوبة بعد التصفيات؟

المشروع مطلوب

وكما هو الحال بعد النتائج اللافتة التي حققها المنتخب الأولمبي في كأس آسيا الأخيرة، لا بدّ من القول إن منتخب الشباب لا يحتاج إلى الإشادة بفوز حقّقه هنا أو بتقديم أداء جيّد هنّاك، بل إن الحاجة الأساسية هي إلى مشروع يحميه.

مشروعٌ يبدأ من الأندية المفترض أن تعطي الفرصة لهؤلاء الشبان في دوري الدرجة الأولى، إذ أظهر من شارك منهم في دوري الأضواء في الموسم الماضي فوارق كبيرة على أرض الملعب إن كان فنيّاً أو بدنياً.

مشروع أيضاً يمرّ بالاتحاد اللبناني، الذي يدرك بلا شك بأن العمل لا يبدأ وينتهي عند المنتخب الأول الذي سيستفيد من برامج إعداد بدني وفني متطوّرة لمنتخب الشباب تنعكس مستقبلاً مشرقاً بالنسبة إليه عند التحاق هؤلاء الواعدين به، ومنهم من قد نراه قريباً جداً في تشكيلة «رجال الأرز» بحسب ما أفاد به مصدرٌ مطّلع لـ«الأخبار»، وذلك ضمن مرحلة التجديد والبناء التي سيطلقها المدير الفني الجزائري مجيد بوقرّة حيث من المتوقّع أن يستبعد عدداً كبيراً من اللاعبين الذين سبق ومثّلوا المنتخب خلال الوقفة الدولية المرتقبة في أيلول الحالي.

ببساطة، المهم هو المتابعة المستمرة حتى لا تتحوّل مرحلة الشباب إلى محطة تنتهي مع انتهاء محطة التصفيات. والأهم أن ما أقرّه الاتحاد سابقاً لحماية اللاعب اللبناني الشاب في ما خصّ عدد دقائق اللعب المفترض على الأندية الالتزام بها، يجب أن تقترن مع قناعة من هذه الأندية بأن إبعاد المواهب الصاعدة عن التشكيلات الأساسية، والاستعانة باللاعبين الأجانب، مهما كانت فوائدها الفنية، يجب ألا تأتي على حساب مسار تطوير اللاعب المحلي.

أسئلة مطروحة

هنا تحديداً تُطرح مجموعة أسئلة، تبدأ من: عندما سيعود هؤلاء اللاعبون إلى أنديتهم، هل سيحصلون على فرصتهم؟ هل سيُمنحون الوقت للعب والتطوّر؟ هل سيتمّ التعامل معهم كمشاريع أم سيلازمون مقاعد البدلاء؟

> **المشكلة لم تكن يوماً في غياب المواهب بل في كيفية التعامل معها**

الأكيد أن هذه المجموعة يجب أن تكون تحت المراقبة والتطوير لسنوات لكي تعبر إلى المنتخب الأول بجهوزية مواجهة أقوياء القارة والإبقاء على الفارق بسيطاً معهم.

هنا يمكن أن نضرب بالمثل كوريا الجنوبية التي فازت على لبنان 3-2 بصعوبة في المباراة الأولى التي كان في الإمكان الخروج منها بتعادل لولا تغاضي الحكم عن احتساب ركلة جزاء في الدقائق الأخيرة.

هذا المنتخب الكوري سيعود إلى بلاده للعمل ضمن المنظومة التطويرية المتكاملة، حيث سينغمس لاعبوه في بطولات أقوى وأكاديميات أكثر تطوراً وبرامج إعداد طويلة الأمد. لذا لن تكون الموهبة والحماسة كافيتين بعد عامين أو ثلاثة إذا لم نعرف كيف نستثمر في هذه العناصر.

من هنا، المطلوب أن يتحوّل كل لاعب في منتخب الشباب إلى مشروع لاعب للمنتخب الأول، إذ قال هؤلاء اللاعبون ما يكفي على أرض الملعب، والآن جاء دور اللاعبين الأساسيين في كرة القدم اللبنانية أي أصحاب القرار في الاتحاد والأندية لاحتضانهم وتحويلهم إلى نجوم اللعبة.

(الأخبار)

بريميرليغ

حقق تشيلسي الفوز في أول مباراتين له في الدوري

يحل نادي تشيلسي ضيفاً على بطل إنكلترا أرسنال غداً الأحد (18:30 بتوقيت بيروت)، وذلك في قمة الجولة الثالثة من «بريميرليغ». مباراة مرتقبة بين فريقين تحسنا في سوق الانتقالات الصيفية، مع ترقّب مضاعف لمعركة الوسط

قمة في لندن: تشيلسي يختبر وسطه أمام «المدفعجية»

حسين قحص

هو الاختبار الأهم لتشيلسي تحت قيادة مدربه الجديد، الإسباني تشابي ألونسو. حقّق تشيلسي الفوز في أوّل مباراتَين له في الدوري أمام فولهام (3-2) وبرايتون (4-3). ورغم أهميّة حصد النقاط الست كاملةً بفضل النجاعة الهجومية، وتحديداً ثلاثي المقدّمة المُكوَّن من كول بالمر وجواو بيدرو والوافد الجديد مورغان رودجيرز، إلّا أنّ استقبال الفريق 5 أهداف في مباراتَين كشفَ ضعفاً دفاعياً مريباً.

قامَ تشيلسي بسوق انتقالات هو الأفضل له تحت قيادة المَلّاك الجدد، حيث شهدَ السوق استقدام لاعبين ذوي خبرات في الدوري الإنكليزي وخارجه، مع معدّل أعمار كفيل لإضفاء عنصر الخبرة على المنظومة.

وجاءَ الجناح الإنكليزي مورغان رودجيرز والمدافع الفرنسي ماكسينس لاكروا والظهير الأيمن الإيطالي ماركو بالييسترا والظهير الأيسر الإسباني بيب تشافاريا والحارس الأرجنتيني إيميليانو مارتينيز كأبرز الصفقات.

في المقابل تخلّى الفريق عن عدد من اللاعبين، آخرهم -وأبرزهم- متوسّط الميدان الأرجنتيني إنزو فيرنانديز لصالح مانشستر سيتي في اليوم الأخير من سوق الانتقالات الصيفية.

ورغم صرفه 342,4 مليون جنيه استرليني في «الميركاتو» الصيفي، تمكّنَ تشيلسي من حصد 67,3 مليون جنيه استرليني كأرباح جرّاء بيعه لاعبين بقيمة إجمالية بلغَت 409,7 ملايين جنيه استرليني.

في المُحصّلة، خرجَ تشيلسي من سوق الانتقالات كفريق أكثر توازناً مما أنهى عليه الموسم الماضي، غير أنّ بيع إنزو فيرنانديز من دون التمكّن من تعويضه قد يخلق مشكلات في وسط الميدان، تبعاً لقلة الخيارات وكثرة الإصابات. وستشكّل المباراة أمام أرسنال الاختبار الأهم في هذه النقطة، نظراً إلى تميُّز «الغانرز» في وسط الميدان تحديداً.

بعد حصده لقب الدوري الموسم الماضي لأول مرة منذ 2004 بتشكيلةٍ صلبةٍ دفاعياً وحاسمة في الكرات الثابتة، قامَ مدرب آرسنال، الإسباني ميكيل أرتيتا، بتعزيز فريقه عن طريق استقدام متوسط الميدان البرازيلي برونو غيماريش والمدافع الإنكليزي إيزري كونسا والمدافع الكولومبي بييرو هينكابي والجناح الأيسر كريستوس تزوليس، فيما تخلّى النادي عن عدد من لاعبيه أبرزهم الجناح البرازيلي غابرييل مارتينيلي والجناح البلجيكي ليوناردو تروسار والمهاجم البرازيلي غابرييل خيسوس.

معركة الوسط

مع رحيل إنزو فيرنانديز والفشل في التوقيع مع متوسط ميدان موناكو، لامين كامارا، قلّت الخيارات في وسط تشيلسي. عليه، تصرّفَ المدرب ألونسو بناءً على خصائص اللاعبين المتاحين لديه، وهو نهجٌ عملي وواقعي.

زادَ الأمر سوءاً غياب لاعب الارتكاز موييزيس كايسيدو بداعي الإصابة عن المباراتَين الافتتاحيتين، حيث أصبح هناك نقصٌ في لاعبي وسط الفريق القادرين على الاحتفاظ بالكرة وبنائها.

في ظل ذلك، قامَ روميو لافيا بدور محور الارتكاز، مدعوماً من ريس جيمس. حتى كول بالمر اضطرَّ للتراجع إلى مراكز أكثر عمقاً للمساعدة.

عدم التعاقد مع الأهداف المرجوة في أواخر فترة الانتقالات يعني أنّ ألونسو يفتقر ربما إلى لاعب وسط إضافي ليتمكّن من صقل كافة تفاصيل أسلوبه المفضل، لكن ذلك قد يصب في مصلحة لاعب الوسط الشاب فالنتين باركو، الذي من المرتقب أن يأخذ فرصته كاملةً.

ويشكل عام، يتمتّع ألونسو بميزة الوقت للعمل على تطوير الفريق في ظل غياب المشاركات الأوروبية.

في المحصّلة، المهمة لن تكون سهلة أمام أحد أقوى خطوط الوسط في الدوري الإنكليزي الممتاز -إن لم يكن أقواها- المكوّن من رايس وأوديغارد مع زوبيمندي أو غيماريش .

هي مباراة التفاصيل، معركة الوسط ستكون الأهم، مع ترقّب خاص لهجوم تشيلسي الفتّاك أمام دفاع آرسنال الذي لم يستقبل بعد أي هدف هذا الموسم تبعاً لفوز «الغانرز» في المباراتَين الافتتاحيّتين (3-0) أمام كوفنتري و(1-0) أمام أستون فيلا.

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com
السبت 5 أيلول 2026 العدد 5867

(نهاد علم الدين)

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين

مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص. ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com
ملحق أسبوعي

معرض دمشق الدولي:
عن الذاكرة والسلطة وصناعة الصورة

كلمات

السبت 5 أيلول 2026
العدد 5867 السنة الحادية والعشرون
Samedi 5 Septembre 2026 nº 5867 21ème année

إلفريده ييلينيك

حين تنحاز ذاكرة أوروبا إلى فلسطين

بول مخلوف

انضمت الروائية النمساوية إلفريده ييلينيك، صاحبة «نوبل» للآداب (2004) إلى الفرنسية آني إرنو في رفضها لإسرائيل، واضعةً صوتها الأدبي في مواجهة السياسات الإسرائيلية في فلسطين، وفي مواجهة اللغة الأوروبية التي تواصل تغليف المأساة الفلسطينية بعبارات دبلوماسية فقدت معناها.

الروائية النمساوية ابنة أب نجا من الهولوكوست، كانت في ما مضى ضد مقاطعة المؤسسات الإسرائيلية، لكنها اليوم باتت تهاجم سياسات إسرائيل تجاه الفلسطينيين بلغة حادّة، تعبّر عن موقفٍ رافض للاستيطان الإحلالي. ليست ييلينيك غريبة عن الاشتباك مع الأسئلة التي تقع عند تقاطع السلطة والعنف والذاكرة. منذ أعمالها الأولى، انشغلت بتعرية ما تخفيه المجتمعات خلف لغتها، وبالكشف عن العنف حين يتخفّى في المؤسسات والخطابات والصور المألوفة. لذا يأتي موقفها من فلسطين منسجماً مع جوهر مشروعها الأدبي، لا بوصفه موقفاً سياسياً عابراً، بل كامتدادٍ طبيعي لطريقتها في النظر إلى العالم: الشك في الرواية التي تصنعها السلطة، والانحياز إلى من تُسلب منه القدرة على الكلام.

في نصها الأخير الذي نشرته على موقعها، تضع ييلينيك يدها مباشرة على موضع الألم: الأرض المسلوبة. هي ترفض أن يستمر الغرب في ترديد «حلّ الدولتين» فيما تتواصل مصادرة الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية والقدس الشرقية وقطاع غزة، إذ ترى في هذا الخطاب «كلمات فارغة» منفصلة عن الواقع. تحذر من أن المسار الجاري يقود إلى ما يشبه «التطهير العرقي» ولا يختلف عن الهولوكوست. تدخل ييلينيك إلى فلسطين إذن من بوابة الأرض. في هذا الاختيار تكمن قوة موقفها؛ الأرض الفلسطينية تعود إلى فلسطين، وهذه حقيقة تحاول اللغة السياسية أن تحجبها. يمكنك أن تكرر «السلام» و«حل الدولتين» إلى ما لا نهاية، لكن الكلمات تصبح بلا معنى حين يقتلع الفلاح من أرضه ويأتي المستوطن ليحلّ مكانه. على هذا النحو، فإنّ كلاماً عن «حل الدولتين» لهو بتوصيفها، كذبة.

من هذا المنطلق، تحضر دعوتها إلى القادة الأوروبيين إلى فرض عقوبات على عنف المستوطنين ومصادرة الأراضي، وإصرارها على أنّ العدالة الحقيقية تبدأ من حماية الأرض وإعادتها إلى أصحابها الفلسطينيين، فالسلام، في منظورها، لا يبدأ من طاولة مفاوضات جديدة إنّما من إعادة الاعتراف بما جرى اقتلاعه، ومن حقيقة أنّ الأرض تعود إلى فلسطين.

تنقل بيلينيك إذن السؤال من «كم دولة نريد؟» إلى «لمن الأرض؟». هذا التحويل البسيط ظاهرياً لهو شديد الدلالة؛ ذاك أنه يزيح الستار عن اللغة الدبلوماسية التي اعتادت التعامل مع فلسطين باعتبارها مشكلة حدود، بينما تكشف صاحبة «عاشقات» و«مدرِّسة البيانو» أنها، قبل أي شيء، مشكلة اقتلاع وملكية، وحق في المكان.

على أنّ أكثر ما يكتسب أهمية في موقف ييلينيك هو موقع أوروبا في هذه الحكاية. هي لا تسمح للذاكرة الأوروبية، ولا لجرائم النازية، بأن تتحول إلى ذريعة للصمت أمام ما يتعرض له الفلسطينيون. في نصها، لا تظهر المأساة اليهودية الأوروبية كأنها رخصة أخلاقية لإسكات الآخرين، إنما بوصفها امتحاناً أخلاقياً جديداً: ماذا تفعل أوروبا بذاكرتها حين ترى شعباً آخر يُقتلع من أرضه؟

هذه النقطة تحديداً تجعل صوت ييلينيك مختلفاً. هي لا تتحدث من خارج الذاكرة الأوروبية، ولا من موقع المتفرج البعيد عن تاريخ لا يعنيه. إنها تدخل إلى قلب هذه الذاكرة ثم ترفض أن تُستخدم كستار. بيلينيك تقول في المضمر، إنّ تذكّر الضحية لا يكتمل بتحويلها إلى هوية قومية محصنة من النقد؛ بل باستخلاص المبدأ الأخلاقي من مأساتها: لا يجوز أن يصبح ألم الأمس مبرراً لألم اليوم. لعل هذا هو المعنى الأعمق لانحيازها إلى فلسطين. إنها لا تمنح الفلسطينيين تعاطفاً أدبياً أو استعراضياً، بل تعيد إليهم ما تنتزعه منهم اللغة السياسية كل يوم: صفة أصحاب الأرض. في عالم يستطيع فيه الخطاب أن يجعل الاقتلاع «نزاعاً»، والاستيطان «تعقيداً»، والاحتلال «وضعاً أمنياً»، تبدو ييلينيك مصرة على تسمية الأشياء بأسمائها.

هكذا تقف في الجهة التي طالما وقف فيها أدبها: إلى جانب من تسلب منه القدرة على الكلام، وضد اللغة التي تجعل السلب يبدو طبيعياً. فلسطين عندها ليست قضية بعيدة تحتاج إلى مزيد من البيانات الدبلوماسية. إنها اختبار للضمير الأوروبي. عندما تصبح الأرض بلا أصحاب في الخطاب، يصبح أصحابها بلا أرض في الواقع. وهذه، بالنسبة إلى ييلينيك، ليست سياسة فاشلة فحسب. إنها مأساة أخلاقية يجري ارتكابها أمام العالم قبل أن تغطيها الكلمات.

يحدث في دمشق الآن

معرض دمشق الدولي: عن الذاكرة والسلطة وصناعة الصورة

عاد «معرض دمشق الدولي» لا بوصفه تظاهرة اقتصادية فحسب، بل منصة تعرض عبرها السلطة الجديدة صورتها للبلد. بين الرموز الدينية والحضور العسكري وذاكرة صيدنايا، يكشف المعرض ما تختاره الدولة للعرض وما تستبعده، فيما يظل موقعه خارج قلب العاصمة دالاً على استمرار مسافات قديمة بين السلطة والمدينة والمجتمع السوري على السواء

مروة جردي

«واليوم نقف هنا لنبدأ حكاية جديدة، حكاية سوريا الجديدة» بهذه الكلمات افتتح الرئيس المؤقت لسوريا أحمد الشرع «معرض دمشق الدولي» لهذا العام تحت شعار «سوريا تشرق من جديد»، بمشاركة نحو ألف جهة عارضة من 60 دولة.

بهذا المعنى، تجاوز «معرض دمشق الدولي» الذي اختُتم أمس، كونه مجرد فعالية اقتصادية تعود إلى الحياة بعد سنوات من التوقف. فالمعرض، الذي كان لعقود مساحة لإبراز صورة سوريا صار اليوم مسرحاً لعرض حكاية الدولة الجديدة أيضاً.

ماذا تختار سوريا الجديدة أن تعرض عن نفسها؟ وما الذي تتجنب عرضه؟ ومن خلال أي رموز ومؤسسات وذكريات تطل سوريا على العالم؟

يمكن النظر إلى المعرض في هذا السياق بوصفه فضاءً عاماً للتمثيل، لا تختلف وظيفته عن المتاحف والمعارض الدولية التي درستها الأنثروبولوجيا السياسية باعتبارها أدوات لاختيار ما يستحق أن يُرى، وما ينبغي أن يبقى خارج إطار الصورة. و«معرض دمشق الدولي» بهذا المعنى مرآة لتحولات المجتمع والدولة، وشريك في إنتاج الصورة التي تريدها سوريا لنفسها.

معرضٌ يغادر المدينة

منذ انطلاقة المعرض في عشرينيات القرن الماضي، أثر الدمشقيون إقامته في محيط «جسر فيكتوريا». شغلت المساحة تلك آنذاك قلب المدينة ومحور حركة الناس. بالنسبة إلى إيدير أوحيس، أحد أبرز الباحثين في تاريخ سوريا الانتدابي، كان المعرض جزءاً من حركة رعاها الانتداب الفرنسي من أجل مسرحة المشهد السوري برمته. أرادت فرنسا أن يكون قلب العاصمة أشبه بمسرح مفتوح دائم. مع تقدّم السنوات، انتقل المعرض رويداً رويداً إلى مناطق أقل مركزية من قلب العاصمة، فصار يُقام بين المنطقة الممتدة بين ساحة الأمويين والمتحف الوطني على ضفة بردى، حيث مدينة المعارض القديمة، قبل أن ينتقل في عهد بشار الأسد إلى موقعه الحالي على طريق المطار، خارج النسيج المركزي للمدينة.

يمكن قراءة هذا الانتقال بوصفه جزءاً من تغير علاقات السلطة وبنية المدينة والفضاء السوري العام برمته. خروج الفعاليات الثقافية من قلب المدن إلى ضفافها وتخومها ظاهرة رأسمالية عربية قحّ تشهد عليها القاهرة، ومسقط، والمنامة، وغيرها من المدن، وإن كان للعوامل العمرانية واللوجستية والأمنية في سوريا دخالتها المضافة. وهذا ما ينبغي التنبه إليه في النسخة الراهنة من المعرض. فالمكان الذي تستضيف فيه الدولة عرض نفسها ليس محايداً البتة؛ هو جزء من الطريقة التي تعرّف بها علاقتها بالمدينة وبالجمهور. والدولة باختيارها مكان العرض هذا، تقول ضمناً إنّ المجتمع الذي تمثله السلطة الجديدة لا يزال بعيداً عن قلب العاصمة وانشغالاتها، والسلطة لا تزال إلى اليوم، بعيدة عن الولوج إلى قلب المدينة السورية، أياً تكن هذه المدينة.

المكان بذاته يقول إنّ ثمة متغيرات في شكل المعرض، هذا صحيح،

> **ارتبط المعرض لعقود بصوت فيروز وأغنياتها**

لكن فضاء المعرض يبقى نفسه. والسلطة تريد أن تحدث قطيعة مع سالفتها، هذا صحيح، إلا أن الواقع يعيد إنتاج نفسه.

من «سالّيني يا شام» إلى «آيات من القرآن

في مقالته الشهيرة «مجمع المعارض» (عام 1988)، يقول عالم الاجتماع الأسترالي توني بينيت الذي توسّع في مفاهيم ميشال فوكو حول مؤسسات المراقبة، إنّ المعارض فضاءات لا تكتفي باستعراض الأشياء، بل هي نظام يقدم للناس ما يستحق أن يُرى، فضلاً عن الطريقة التي يرى بها الجمهور نفسه ومجتمعه. ومن هذه الزاوية، لا يعود المعرض مجرد فضاء لإعادة تشكيل صورة الدولة لنفسها. بل، مساحة يمكن التوقف عندها لاستقراء التحول في الرموز التي رافقت المعرض هذا العام. من بين المشاهد التي انتشرت على نطاق واسع صلاة وزير الداخلية أنس خطاب في جناحه مع أعضاء من وزارته، ثم الصلاة الجماعية في مساحة عامة ضمن المعرض، إلى جانب افتتاح المعرض بآيات من القرآن بالصوت الحي.

تقابل هذا المشهد ذاكرة سمعية مختلفة تماماً للمعرض. فقد ارتبط «معرض دمشق الدولي» لعقود بصوت فيروز وأغنياتها، حتى تحولت مشاركاتها وحضور أغنياتها في أرجاء المكان إلى واحدة من علاماته الثقافية الأكثر رسوخاً. وخصص الأخوان رحباني، في مراحل عدة، أغنيات للشام ضمن حفلات المعرض، من بينها «سائّليني يا شام» عام 1961، و«قراطْ مَجدك» عام 1962، و«شام يا ذا السيف» عام 1963.

لا يعني ما سبقَ أنّ الرمز الديني يلغي الرموز الثقافية السابقة، حيث حرصت هذه النسخة من المعرض على إبراز التنوع في الفعاليات. لكنّ النظام وجمهوره يؤكدان على دعم حضور أكبر للممارسة الدينية العلنية في المجال العام بعد سنوات من المنع. وإذا كان الخطاب الديني يقدم إحدى علامات التحول الداخلي، فإنّ الجناح العسكري يقدم واحدة من أكثر الرسائل وضوحاً حول شكل الدولة الجديدة.

سوريا للغرب: انا صديق

الصفة الدولية للمعرض تجعله منصةً مهمةً للسلطة الجديدة بمخاطبة الخارج. وهذا العام حملت المشاركة الألمانية الرسمية، التي وُصفت بأنها الأولى من نوعها منذ نحو 40 عاماً، دلالة إضافية مع اختيار ألمانيا ضيف شرف هذه الدورة. لكنّ الرسائل الموجهة إلى الخارج لم تأتِ من الأجنحة الاقتصادية وحدها، حيث كان الحضور العسكري من أكثر العناصر لفتاً للانتباه، خصوصاً في جناح وزارة الدفاع الذي استعرض أسلحة ومعدات ومحاكاة لتجارب عسكرية، وأتاح للجمهور المشاركة فيها والحصول على مكافآت عند النجاح في إنجاز «عمليات» عسكرية تفاعلية.

يبدو تعمد اختيار كلمة «عملية» في جناح وزارة الدفاع من دون استخدام كلمتي «حرب» أو «تحرير» لافتاً بحد ذاته، بين من رآها استعادة للمصطلح العسكري الذي رافق وصول فصائل المعارضة المسلحة إلى دمشق بعد ما عُرف بـ«عملية ردع العدوان»، وبين من اعتبرها تجنباً لكلمات قد تثير أسئلة حول ضد مَن ستخاض الحرب، خصوصاً أن التجارب التفاعلية في الجناح لم تحدّد عدواً أو خصماً محتملاً، ولم تربط مفهوم الدفاع بصورة صريحة بتحرير أرض أو مواجهة طرف بعينه.

يمكن قراءة هذا الغياب باعتباره جزءاً من رسالة أوسع، مفادها أنّ مؤسسة عسكرية جديدة تريد أن تظهر بوصفها مؤسسة وطنية منظمة، قادرة على تطوير قدراتها الذاتية، من دون أن تقدم في الفضاء العام خطاباً عسكرياً معلناً عن عدو خارجي أو أهداف قتالية محددة.

في المقابل، حمل الجناح رسائل إلى الداخل أيضاً. أتاحت بعض محطاته للمدنيين الجلوس إلى جانب الضباط والجنود، وتحولت الآليات العسكرية وأفراد المؤسسة إلى مادة للصور التذكارية والتجارب التفاعلية. أي إنّ المؤسسة العسكرية في «معرض دمشق الدولي» تحولت إلى قوة يمكن الاقتراب منها وتجربتها والتقاط صور تذكارية معها، وهذا يختلف في دلالته عن الصورة التي طبعت علاقة السوريين بالمؤسسة الأمنية والعسكرية في عهد النظام السابق، حين ارتبطت هذه المؤسسات في الوعي العام بالخوف والرقابة والعنف.

سجون الأسد إلى الواجهة

في جناح وزارة الداخلية، كان سجن صيدنايا حاضراً بقوة في «معرض دمشق الدولي» هذا العام، من خلال جناح وزارة الداخلية الذي حمل عنوان «حين تتكلم الجدران»، وخصص جزءاً منه لتوثيق ذاكرة السجن والانتهاكات التي شهدها خلال عهد الأسد. أعيد بناء زنزانة ومنفردة من سجن صيدنايا بتفاصيل دقيقة، مستخدمة أبواباً وأقفالاً حقيقية نُقلت من الموقع نفسه، إلى جانب بقايا ملابس لمعتقلين، وكتابات تركها سجناء على الجدران، بينها عبارات دعاء واستغاثة. وفي القسم الثاني، عُرضت لوحات ومجسمات فنية أبدعها موقوفون بعد سقوط النظام، في محاولة لتقديم صورة عن مسار إصلاحي داخل السجون الجديدة.

هذا الاستحضار الذي يقوم على استخدام تجارب مؤلمة لآلاف السوريين كمادة يمكن للدولة الجديدة استخدامها في تعريف نفسها، بوصفها الدولة التي جاءت بعد نظام السجون في ظل تقارير وانتقادات تتعلق بانتهاكات وقعت في مراكز احتجاز تابعة للسلطة الجديدة نفسها، ما أثار استياء الكثير من الناشطين والحقوقيين الذين اعتبروه نوعاً من الإهمال، خصوصاً مع وجود قطع حقيقية من صيدنايا في المعرض. وقد ظهر ضرره بشكل واضح مع انتشار مقطع فيديو لصبية عثرت على اسم شقيقها، الذي توفي في سجون النظام السابق، مكتوباً على إحدى بوابات الزنازين المعروضة، وطلبت من المشرفين الإذن بالاحتفاظ بالباب.

مرآة لسوريا الجديدة

في بحث منشور عام 2025 بعنوان «الإضطرابات وما بعدها: أثر المعرض المتحفي على مجتمع ما بعد النزاع»، تناقش الباحثتان الأكاديميتان في مجال العلوم السياسية والسياسات العامة لايا بالسيلز وإلسا فويتاس العلاقة بين المعارض والمجتمعات الخارجة من الصراع. تنطلقان من حقيقة أنّ هذه المجتمعات قد لا تمتلك رواية واحدة متفقاً عليها عن الماضي. وقد تتعارض روايات الضحايا والجناة والجماعات السياسية المختلفة، ما يجعل بناء رواية مشتركة للماضي عملية معقدة، لكنّ المعارض قد تشكل فضاءً لتوحيد الرؤى.

هل يمكن لمعرض دمشق أن يلعب هذا الدور؟ في الذاكرة السورية، ليس «معرض دمشق» مجرد معرض تجاري أو صناعي. لقد كان جزءاً من تاريخ المدينة، ومن علاقة السوريين بدمشق ونهر بردى والفنون المختلفة، وحتى العلاقات السياسية مع الغرب وثقافته، ومن ذاكرتهم عن فترات الازدهار والتوقف والانهيار والعودة. والمعرض الحالي لا يستقبل الجمهور نفسه الذي كان يأتي إليه قبل الحرب. كما أنّ دمشق نفسها ليست المدينة ذاتها. لهذا، فإن قراءة «معرض دمشق الدولي» اليوم لا تعني فقط مقارنة دورة 2026 بالدورات السابقة، بل النظر إلى الطريقة التي تعيد بها الدولة الجديدة بناء صورتها أمام السوريين وأمام العالم.

الرقيب الجديد: الخشبات لكم فأبدعوا!

في رواية «حكاية السيد البرغي»، يستعيد الكاتب السوري سومر شحادة الرقيب بوصفه أكثر من جهة تمنع النصوص: إنه منظومة تتسلل إلى وعي الكاتب وتستمر حتى بعد إعلان السلطة عن حرية التعبير. اليوم، بعد سقوط نظام «البعث»، تبدو الرواية أكثر راهنية: لقد اتسعت مساحة الحرية في سوريا، وسقطت محظورات كثيرة، لكن هل سقط الرقيب معها؟

في المسرح ونصوصه تحديداً، بدأت الخشبات تقترب من موضوعات كانت محرّمة، من المعتقلين وجرائم النظام السابق إلى العدالة الانتقالية والمرأة. لكن في المقابل، تظهر حدود جديدة ترسمها المؤسسة والجمهور والحساسيات الدينية والاجتماعية والطائفية. فهل انتقلت الرقابة من حالتها المحددة الصلبة إلى حالة سائلة يصعب معرفة من يمارسها؟ حتى يصير السؤال من «الرقيب الجديد» الذي يحدد للفنان ما يجوز أن يقوله وما يجب أن يبقى خارج الخشبة؟

من العصر الذهبي إلى قطيعة الجمهور

للتعرف أكثر إلى التحولات التي طالت الرقيب والمسرح السوري، يجب الوعي بتحولاته السابقة منذ وصول «البعث» للسلطة قبل مغادرتها لصالح الحكام الجدد. رغم أن المسرح السوري ظل، منذ أبي خليل القباني، في طور البحث عن التجذّر والتأصيل للخشبة التي أسسها ابن دمشق، فإنّ تأسيس الفرقة القومية للتمثيل في مطلع الستينيات شكّل نقطة تحوّل أساسية، ومهّد لازدهار الحركة المسرحية التي بلغت ذروتها في الستينيات والسبعينيات، حتى عُدّت تلك المرحلة العصر الذهبي للمسرح السوري، مفارقة يصعب على المعارضين لنظام «البعث» تفسيرها حتى اليوم، خصوصاً أن تلك المرحلة أفرزت أسماء مسرحية تحولت لاحقاً إلى أصوات نقدية وثورية في سوريا والعالم العربي، مثل سعد الله ونوس وممدوح عدوان وفرحان بلبل.

ومع انضمام مجموعة من الكتاب والفنانين السوريين إلى المسرح القومي، من ونوس وبلبل وعدوان، إلى وليد إخلاصي ومصطفى الحلاج ورياض عصمت وأحمد قبلاوي، وبالتوازي مع مخرجين أمثال علي عقلة عرسان وأسعد فضة وخضر الشعار وإبراهيم صنوبر وحسين إدلبي، تقدمت التجربة المسرحية مدفوعة بمشاريع فنية ذات طموح وطني وقومي. إلى جانب المسرح القومي، نشطت فرق المسرح الشعبي والحر والعمالي والجامعي والمدرسي، في مشهد تعددي كان يمكن، لو استمر وتراكم، أن يفضي إلى مسرح أكثر أصالة وخصوصية. كما رأى الناقد سلمان قطاية في سبعينيات القرن الماضي. لكن هذا التراكم لم يتحول إلى تقليد مسرحي متصل. أدى غياب الأرشفة والتوثيق إلى قطع الصلة بين تجارب الأجيال المتعاقبة، إذ عاد المسرحيون في مراحل لاحقة إلى البحث عن أشكال وصيغ أوروبية وإعادة إنتاجها بملامح محلية، من دون أن تتراكم التجارب السابقة بوصفها ذاكرة حية للمسرح السوري. وفي التسعينيات، دخل المسرح السوري ما يمكن وصفه بسنواته العجاف. لم تكن القيود القانونية وحدها سبباً في تراجعه، بل أسهم أيضاً تكرار النماذج المسرحية وابتعاد كثير من العروض عن أسئلة المجتمع وتحولاته، ومع غياب مشروع قادر على تجديد علاقة المسرح بمتلقيه، بدأت الصلة بين الجمهور السوري والخشبة تتآكل. لذلك، لم يرث المسرح السوري بعد سقوط نظام بشار الأسد خشبة مزدهرة تنتظر التحرر، بل ورث مؤسسة مثقلة بتراكمات عقود، لكنها مؤسسة لها تاريخها وفتراتها الذهبية، التي لا يمكن تجاهلها، وتقاليد مسرحية يمكن الاتكاء عليها لإعادة بناء علاقة المسرح بالمجتمع.

خشبة ما بعد الأسد

بالفعل، لم يتأخر عدد من العاملين في المجال الثقافي الذين اتخذوا موقفاً معارضاً لحكم بشار الأسد، ومؤيداً للثورة، في العودة إلى سوريا بعد سقوط النظام، للمشاركة في المرحلة الانتقالية، كلٌّ حسب خبرته ومجال عمله. انعكس ذلك على المشهد المسرحي، الذي شهد نشاطاً لافتاً مقارنة بالسنوات السابقة، وبدأت الخشبات تستقبل تجارب وموضوعات كان من الصعب مقاربتها سابقاً بالقدر نفسه من الحرية. استحضرت بعض العروض ذاكرة المعتقلين وجرائم النظام السابق، وانشغلت أخرى بالمرأة والذاكرة السورية والحياة اليومية، وصولاً إلى أسئلة العدالة الانتقالية. في عرض «618» على «مسرح الحمراء» في دمشق عام 2025، حضرت ذاكرة المعتقلين، بينما تناولت «ليلة الوداع» معاناة المرأة، وذهبت «تحت السقف» إلى تفاصيل الحياة اليومية والهموم المحلية، وصولاً إلى «بروفة يوم الحساب» لفارس الذهبي، وإخراج ماهر صليبي، التي عُرضت في 2026 وتناولت العدالة الانتقالية من خلال حكاية معتقلَتين سابقتين.

لا تكفي هذه العروض، بطبيعة الحال، للحكم على تجربة المسرح السوري بعد سقوط النظام، فالمرحلة لا تزال في بداياتها، لكن يمكن رصد ملامح أولية فيها، إذ تبدو الذاكرة السورية، والضحايا، والمعتقلون، والعدالة الانتقالية، والمرأة، في صدارة الموضوعات التي تستقطب المسرحيين. موضوعات لا يمكن التقليل من أهميتها في بلد خرج لتوه من أكثر من عقد من الحرب والقمع، لكنها تطرح في الوقت نفسه سؤالاً آخر: هل ستتسع الخشبة لاحقاً لتناقش المجتمع الجديد بكل تناقضاته، أم ستبقى أسيرة موضوعات المرحلة الانتقالية المناسبة للنظام الجديد، وذاكرة الحرب؟

المشكلة ليست في أن يتناول المسرح المعتقلين أو العدالة الانتقالية، بل في أن يتحول ذلك، مع الوقت، إلى ثقافة مسرحية وحيدة تستهدف جمهوراً واحداً وتعيد إنتاج الأسئلة ذاتها.

اختبار الحرية في «كل عار وانتم بخير»

ضمن هذا المناخ، عاد الأخوان ملص، إلى جانب عدد كبير من العاملين في المجال الثقافي الذين غادروا سوريا أو ابتعدوا عنها في سنوات الحرب، إلى العمل في البلاد، وبدأ تقديم عروض وتجارب مسرحية مختلفة. لكن الخشبة التي يفترض أنها تحررت من سلطة النظام السابق لم تكن خالية من الاحتكاك؛ هذه المرة مع جمهور محافظ دينياً، أو مع مؤسسات ثقافية، أو مع تصورات جديدة حول ما يجوز عرضه على المسرح. ظهر ذلك خلال عرضهما الأخير في حلب، «كل عار وأنتم بخير»، الذي دخل في جدل بعد الحديث عن منعه، من دون توضيح رسمي لأسباب القرار. مدير المسارح نوار بلبل نفى حدوث أي منع، قبل أن يعود الأخوان ملص للتعليق على النفي بسخرية، معتبرين أن موقفه يذكّر بمواقف فنانين سوريين مؤيدين للنظام السابق، ومستعيرين قول أنسي الحاج: «كرّموني في الهاوية، فلماذا أصعد؟». بغض النظر عن الروايتين، وعن حقيقة ما جرى في كواليس العرض، فإن أهمية الحادثة لا تكمن فقط في معرفة ما إذا كان هناك قرار بالمنع من عدمه، بل في كونها تكشف مبكراً عن طبيعة الاحتكاك الذي يمكن أن تواجهه الخشبة السورية في المرحلة الجديدة. فالمسرح لا يعمل في فراغ، والسلطة التي كانت تحدد له حدود الكلام لم تعد اللاعب الوحيد الذي يستطيع التأثير في ما يعرضه. هناك المؤسسة الثقافية، والجمهور، والمجتمع، والتصورات الدينية والأخلاقية التي بدأت بدورها في رسم حدود جديدة، وسلطة منصات التواصل الاجتماعي التي تشهد حملات رقمية ضد أسماء، وشخصيات محددة، واستجابة السلطات السورية لها دون تدقيق في أحقيتها.

من الرقيب القديم إلى الرقيب الجديد

في مقابلة حديثة، قال مدير المسارح نوار بلبل إنّ أحداً لم يمنع أي عرض، مضيفاً: «كلو مسموح ما عدا المواضيع التي تزدري الأديان والمرأة، وتحرّض على الطائفية والعنصرية». ورغم أن تصريح بلبل في ظاهره يستهدف الحفاظ على السلم الأهلي، لكنه ينطوي أيضاً على عناوين فضفاضة تجعل أي عمل تحت تهديد المنع في حال اقترابه من المواضيع السابقة. مَن يقرر أن نصاً ما يزدري ديناً؟ ومتى يتحول نقد فكرة دينية إلى ازدراء؟ ومن يحدد الخط الفاصل بين تناول الطائفية والتحريض عليها، أو بين السخرية والإهانة؟

هنا تحديداً يظهر مفهوم «الرقيب الجديد». هو لا يشبه بالضرورة الرقيب الأمني والسياسي الذي عرفه المسرحيون في عهد الأسد، لكنه يستعيد جوهر فكرة الوصاية على الفن، وهو وجود جهة ما تحدد للفنان ما يجوز قوله وما ينبغي أن يبقى خارج الخشبة.

والاختبار الحقيقي للمسرح السوري في المرحلة المقبلة سيكون في قدرته على إنتاج مساحة لا تحتاج إلى وصاية، وعلى بناء جمهور جديد لا يرى في المسرح تهديداً لقيمه، وفي الوقت نفسه لا يمنح نفسه حق تحديد ما يستطيع الفنان أن يقوله.

مروة...

فصل من رواية

شتاء أنجمينا

روزي جدي *

لم يكن ليحدث كل هذا لو استمع إلى أمه! لم يكن ليحدث كل هذا لو لم يعد إلى الوطن!

عندما قرر الرحيل، أراد أن يقفز وفي أذنيه وذاكرته أغنية لأحمد بيكوس، لكن حبال ذاكرته ذهبت إلى عجيزة أم بنة بائعة الفنقاسو قبيل لحظات من ارتطام جسده بالأرضية، ولن يعرف أبداً أن آخر أغنية سمعها لم تكن لبيكوس بل لمغنٍ آخر يدعى دار سيلا!

كان يعيش مع أسرته في فرنسا، وكل شيء يمضي بشكل جيد حتى قرر العودة إلى أنجمينا.

لم أفهم أبداً لم أراد العودة وهو الذي غادرها هارباً مذعوراً عقب انقلاب فاشل شارك فيه والده وبعض من الجنرالات الذين أحسوا أن رفيقهم الرئيس قرر التخلص من كل رفاقه الذين خاضوا الثورة معاً ووصولوا إلى السلطة.

حلمي ومناي الأكبر هو أن ألتحق به وأعيش بعيداً عن هذه المدينة. وعدني بذلك وكنت أعد الليل والنهار حتى أتخرج من الجامعة والتحق به، لكن سوء حظي حال دون ذلك. وحين تحقق، حصل ذلك بطريقة ناقصة، لم تكن كما تمنيته وتخيله لسنوات.

ها هو الآن في «مطار حسن جاموس الدولي» في أنجمينا وأنا ذاهب لأستقبله بدلاً من أن يحدث العكس ويستقبلني بالأحضان في بهو «مطار أورلي».

حين حطت طائرته، كنتُ أول من اتصل به، ولأني لا أملك سيارة، أخبرني أنه اتصل بابن عمه محمود وعليّ القدوم برفقته. دلفت إلى بيت صديقي بعد ثماني سنوات من الغياب، لم أدخل المنزل منذ أن غادره رغم أنّ الفيلا مجاورة لبيتنا الطيني. محمود لا يحبني ولا أحبه، هو يعرفني حقاً ولم يغفر لي زلاتي رغم أنني التزمت نوعاً ما؛ أعني تخليت عن السرقة والشراب والسطو وقطع الطريق وعدتُ أزور المسجد. طوال الطريق لم يقل كلمة.

أنظر إليه من حين لآخر من دون أن التفت أو أحرك رقبتي، أختلس النظر، أرسل بؤبؤيّ إلى ركن عينيّ كي أرى ما يفعله. بدا لي أنه يقرأ آيات أو أذكاراً. أرغب في وضع أغنية لأحمد بيكوس. أغنيته «الوطن» التي أغرم بها صديقي في سنوات الغربة واستمعنا إليها سوياً عشرات المرات في اتصالاتنا الكثيرة. أحملها الآن في هاتفي، وأعرف أنه سيرفض قائلاً:

— لن تستمع إلى أغانيك في سيارتي واعلم أن الغناء يلهي القلب ويورث النفاق.

وصلنا إلى المطار، وجدناه في الساحة المؤدية إلى صالة الانتظار، لم يتحمّل البقاء داخل تلك الصالة الصغيرة بحجم زنزانة. كانت ساعة السيارة تشير إلى الخامسة والنصف، ولحية محمود ما زالت تلمع ببقايا قطرات وضوئه لصلاة الصبح. سلم على ابن عمه واحتضنني بقوة واتجهنا إلى البيت.

الصباح في أوله، المدينة هادئة بشوارعها التي تزينت بأشجار الميلاد. غداً هو الرابع والعشرون من ديسمبر، تبدو المدينة كأنها عاصمة للمسيحيين رغم أنّ المسلمين هم الأكثر عدداً. أشجار الميلاد في كل مكان، معلّقة على أعمدة الكهرباء وأسطح الفنادق، وتحيط خصر كل دوار في المدينة. صديقي كان ينظر إلى الشوارع كمن استعاد حبيباً بعد فراق طويل، يتأملها محاولاً إدراك التغير الذي حصل في العاصمة، ظل ابن عمه يمسد لحيته ويرتل. تهادت السيارة من شارع المطار حتى صينية شركة السكر ثم توقفت قرب دوار «آدم تشيريه» وعاد محمود من إحدى البقالات يحمل طبّاً من المياه المعدنية داخل عبوات مكتوب عليها «فيتالين».

عندما وصلنا إلى دوار الصينيين بدأت أشجار الميلاد تختفي وتظهر منارات المساجد الصغيرة التي نبتت كالفطر في كل مكان.

ولجنا إلى حارة دقيل فاختفت الأنوار كلياً. كنا نقابل موزعي الخبز على الدكاكين بين الفينة والأخرى على دراجات هوائية يطلقون الصفير أو يدفعون الدواسة بشدة حتى وصلنا إلى البيت.

في ذلك اليوم، كنت سعيداً كطفل حصل على لعبة جديدة. عاد صديق طفولتي، عاد الذي ذهبت معه إلى «بوطة إسحاقا ساخو» وسرقت معه الفقوس من بائعات «تشة مسورو» وذهبنا كل صباح إلى أم بنة بائعة الفنقاسو كي نعود بطست مليء بالخبز المحلي الذي ترعرعنا على مضغه.

في ذلك الزمن البعيد، قبل أن يغادر إلى فرنسا، كنا صغاراً، ولم تكن السعادة أكثر من عشرة ريالات في الجيب لتشتري فنقاسو أو حلاوة «رمس» لنفسك ولصديقك وتتجولان في أزقة دقيل بكل فخر؛ طعمها غريب وتفوح منها رائحة القصدير، لكني جائع. الأمور تغيرت وتغيرتُ أنا أيضاً ولم أعد أسرق رغم أنني أحببت المهنة.

في آخر مرة زرت فيها الفيلا، كانت هذه المكتبة مليئة بكتب إدارة الأعمال وسير رؤساء الدول، لكنها الآن مكتظة بالكتب الدينية ومزينة بكتاب «سير أعلام النبلاء».

رافقني محمود حتى باب بيتنا. لديّ غرفة طينية قرب البوابة، غرفة بشباك صغير في الأعلى تتخذه بعض العصافير كعش في موسم التزاوج. حجرتي شبه عارية، سقفها من الزنك وفيها ثلاثة كراس ودرج للملابس وفراش نومي والكثير من الكراريس والمذكرات ورائحة النفتالين. في جدرانها الطينية، ألصقت الكثير من صور لاعبي كرة القدم. علّقت قميصي على المشجب الخشبي الذي سرقته من نجّار في «سوق الدقيل» ونمت.

أيقظني آذان صلاة العصر. هناك قرابة مئة زاوية للصلاة في دائرتي. هدوء غريب يلف البيت، ما يعني أن أبي عاد من عمله. عندما يكون في البيت، نركن جميعاً إلى الصمت، حتى أمي تتحدث معنا بالإشارات والإيماءات كي لا نوقظه من قيلولته أو نصدر صخباً يعكر الصمت الذي يجلله. راقبني بنظرات غريبة وأنا أتوضأ وأتجه إلى الزاوية. ينظر إليّ بحسرة لأنني لم أتخرج بعد من الجامعة وأصبح شرطياً مثله، لم يكن ذلك ذنبي، فرغم رسوبي في بعض المواد، إلا أن الإضرابات وغياب المحاضرين جعلني أبقى طالباً رغم أنني التحقت بالكلية منذ خمس سنوات من أجل الحصول على شهادة لا يستغرق الحصول عليها سوى ثلاث سنوات في الدول الأخرى.

أبي يصلّي في البيت، لأنّ أغلب الزوايا في دائرتي هي لجماعة أنصار السنة المحمدية وهو رجل من الطائفة التيجانية لا يصلي في زاوية يسميها زوايا الوهّابية أو مساجد ضرار.

دراجتي معطلة منذ أسبوعين، استعارها أحد أصدقاء الأيام الخوالي وذهب بها إلى القوادال العودة غانماً بعد ضرب أحد أبناء الطبقة الوسطى على قفاه وأخذ ماله. لكن الحياة تغيرت ولم تعد الأمور بسيطة كما كانت.

لا بد أن أعترف بأن صديقي قد تغير كثيراً. كان قصيراً ونحيفاً رغم أنه أكثر وسامة. عاد وهو رجل متوسط الطول، أضخم، ولديه عضلات مفتولة كعضلات مرتادي صالات الجيم. بعد الآن لن يشعر بالحرج وهو يمشي إلى جانبي كما كان يفعل وقتَ كنا صغاراً. كنت طفلاً ضخماً وطويلاً وذا كرش عظيم. شكلي لم يتغير كثيراً عدا أنني صرت أكثر طولاً.

محمود ينظر إليّ بريبة كأني سأسرق شيئاً من البيت، تركنا الضيف يرتاح بعدما رفض الأكل لأنه أكل في الطائرة. التهمت الدجاجة وحدي بينما ظل يرمقني متصنّعاً أنه يبحث عن كتاب في رف المكتبة. لم أكل دجاجة منذ أكثر من سنة، آخر مرة تناولتها كنت خطفتها من بوابة «مستشفى الحرية» حين لمحتْ امرأة تعودُ زوجها حاملة سفرة كبيرة على رأسها. وصلت نزع أطرافها في صمت منتبهاً إلى صوت الجهاز الذي دفّا لي هذه الدجاجة البيضاء الماسخة التي ماتت منذ أشهر ودفنت في هذه الثلاجة لأسابيع. طعمها غريب وتفوح منها رائحة القصدير، لكني جائع. الأمور تغيرت وتغيرتُ أنا أيضاً ولم أعد أسرق رغم أنني أحببت المهنة.

في آخر مرة زرت فيها الفيلا، كانت هذه المكتبة مليئة بكتب إدارة الأعمال وسير رؤساء الدول، لكنها الآن مكتظة بالكتب الدينية ومزينة بكتاب «سير أعلام النبلاء».

رافقني محمود حتى باب بيتنا. لديّ غرفة طينية قرب البوابة، غرفة بشباك صغير في الأعلى تتخذه بعض العصافير كعش في موسم التزاوج. حجرتي شبه عارية، سقفها من الزنك وفيها ثلاثة كراس ودرج للملابس وفراش نومي والكثير من الكراريس والمذكرات ورائحة النفتالين. في جدرانها الطينية، ألصقت الكثير من صور لاعبي كرة القدم. علّقت قميصي على المشجب الخشبي الذي سرقته من نجّار في «سوق الدقيل» ونمت.

أيقظني آذان صلاة العصر. هناك قرابة مئة زاوية للصلاة في دائرتي. هدوء غريب يلف البيت، ما يعني أن أبي عاد من عمله. عندما يكون في البيت، نركن جميعاً إلى الصمت، حتى أمي تتحدث معنا بالإشارات والإيماءات كي لا نوقظه من قيلولته أو نصدر صخباً يعكر الصمت الذي يجلله. راقبني بنظرات غريبة وأنا أتوضأ وأتجه إلى الزاوية. ينظر إليّ بحسرة لأنني لم أتخرج بعد من الجامعة وأصبح شرطياً مثله، لم يكن ذلك ذنبي، فرغم رسوبي في بعض المواد، إلا أن الإضرابات وغياب المحاضرين جعلني أبقى طالباً رغم أنني التحقت بالكلية منذ خمس سنوات من أجل الحصول على شهادة لا يستغرق الحصول عليها سوى ثلاث سنوات في الدول الأخرى.

أبي يصلّي في البيت، لأنّ أغلب الزوايا في دائرتي هي لجماعة أنصار السنة المحمدية وهو رجل من الطائفة التيجانية لا يصلي في زاوية يسميها زوايا الوهّابية أو مساجد ضرار.

دراجتي معطلة منذ أسبوعين، استعارها أحد أصدقاء الأيام الخوالي وذهب بها إلى القوادال وشرب الكثير من «المريسة» الفاسدة، فدخل بها تحت شاحنة. خرج سليماً لولا بعض الخدوش في ركبته ومرفقيه، بيد أنّ دراجتي صارت مثل كيس الخردة لا تعرف رأسها من ذيلها كما لم أعرف كيف أتى بها حتى البيت ليرميها خلف حجرتي!

مشيت حتى شارع « الكارات» وهي باصات صغيرة قديمة تتعطل يومياً وتحترق أحياناً وتصدر أعمدة من عوادم الدخان. في جيبي ستمئة فرنك. اشتريت علبة سجائر «فين» بالمئة، وقرأت إعلانات سينما «تيتانيك».

هناك عروض كثيرة، لكنّ أغلبها مسلسلات مكسيكية تبدأ ولا تنتهي حتى تموت وتدفن، وأفلام هندية كلّها تحمل ذات الحبكة. ارتميت على الكراسي الخلفية علني أهرب من الفتحة الخلفية للباص في حال نشوب حريق في المحرك. وضعت سماعاتي وشغلت الهاتف. كان أحمد بيكوس يغني بشجن: «اليوم عيد ميلادك يا وطني/ غني وشكري/ اليوم عيد ميلادك يا وطني/ هيا غني وشكري/ يا ريت كل الناس تعرف وتشعر/ بعز الوطن»

بيكوس الذي غنى تحت لهيب الشمس ووسط جبال أبشة الباردة متابطاً عوده متدفئاً بالكلمات والإيقاع وحبه لهذا الوطن الواسع لم يشعر بعزّ الوطن الذي قذف به بعيداً وقضى عليه في المنفى.

أحببت بيكوس لأسباب كثيرة من بينها أنني ترعرعت على صوته الذي بات شيئاً اليفاً يشكّل صباحنا مثل الشاي الصباحي. اليوم أعود إليه لأنّ صديقي عاد، صديقي الذي أهداني راديو صغيراً سجّل فيه كل أغاني بيكوس. حصل ذلك قبل سنوات طويلة، لكني أتذكره كلما أستمع إلى أحمد الذي وسم طفولتنا نحن مواليد التسعينيات وأشعر أنه عبّر عني وغنّى الذي وددت قوله.

على يميني فتاة مراهقة تلتصق بي لأن جارها الأربعيني يتحرش بها، الرجل يحاول إدخال يده بين فخذيها فترفض فيقرصها. تململت وقالت:

— اقعد ساكت.

قال الرجل وفي صوته نبرة تهديد:

— قلتِ شنو؟

اقترحت عليها أن نتبادل مواقعنا. رحبت بالفكرة بينما وجم الرجل وظل ينظر إليّ بغضب حتى نزلت الفتاة في سوق الدقيل عند الجزارة لتبتاع لحم العشاء. السيارة تقرقع، تتوقف بصعوبة وتصدر صريراً كأنّ الباب سوف ينخلع، ينزل راكبٌ أو اثنان ثم يضرب مساعد السائق على البوابة فيواصل السائق. لم تتغير البلاد كثيراً، الحكومة بنت بضعة جسور فقط، البيوت صغيرة ووسخة. الصفيح في كل مكان، الشوارع ترابية، النفاثة في كل مكان، وخاصة سوق الدقيل. الترع التي أحدثتها أمطار الخريف ما زالت تفوح، رائحة الفراء المبللة في كل مكان، رائحة اعتدنا عليها ولم تعد تؤذينا وهي التي تغمي على من اشتمها لأول مرة. الدم في كل مكان، دم ينقط، يتخثر، يسيل تحت أحذية الجزارين ويمضي نحو الترعة. رائحة المريسة الفاسدة وبول البالغين، اختلطت كل هذه فانتجت رائحة قضت على حاسة الشم لدى سكان هذه الدائرة. على يميني شاهدت المسجد المغربي الذي يشيد منذ سنوات، ثم الترعة المولحة الممتلئة بأمطار الخريف الماضي، فوق المياه المولحة هناك أعشاب وأكياس وسرب من البعوض. مشهد مألوف وحميمي بالنسبة إلى شاب قضى طفولته في هذه الأماكن الجميلة رغم عطاناتها. يغمرني حنين جارف إلى طفولتي في كل مرة أمر بهذا الشارع المسمى بشارع الكارات.

نزلت في سوق الدقيل، مشيت إلى جانب البضائع المفروشة على الإسفلت وتحت الجسر، كانت النسوة يجمعن بضائعهن للعودة إلى البيت. قفزت فوق شوال من الفقوس ودهست كيساً من الشطة، وشتمتني بائعة جرجير تبيع بضائعها على قارعة الطريق.

قالت:

— فرخ دا. عينك ما قاعد يشيف وا؟ يا فرخ الحرام.

مشيت حتى شارع ثلاثين، ونفضت عنّي الغبار داخل مسجد أبينا إبراهيم، بلغت المقهى نظيفاً كمن خرج توّاً من غرفته. شعري أسود أكرت، تعلقت بعض القطرات بشعري، قميصي سماوي اللون وبنطلوني سروال جينز اشتريته من سوق للمسروقات قبل سنتين.

المقهى عبارة عن بضعة كراسٍ وطاولات خشبية رصفت بينّ شجرة هجليج وشجرة نيم. يستظل المقهى بظل الشجرتين، ويتكئ على جدار معهد تعليم اللغة العربية. لا ظل سوى الظل الشحيح للشجرتين. ناتي بعد العصر حين يصير الكون كله ظليلاً، ونبقى فيه حتى ساعات العتمة. عندما وصلت، كان الشارع مكتظاً، الشمس قد انكسرت خلف مبنى المعهد اللغوي والميكروباصات تقف وتتحرك متجهة إلى سوق الغلال، وفرشا ودمبيه وأنقبو. ينادي مساعد السائق بصوت جهور، يذكر الجهة ويحدق في اتجاه الزبائن بينما سرب من الطيور تحلق فوق حبل الكهرباء المائل، فوق الدخان الخارج من السيارة.

لفترة طويلة، لم أشعر بالزهو والثقة كما شعرت به في ذلك المساء الذي أحسست فيه بأنني شخص مهم يعرف أشخاصاً قادمين من وراء البحار.

بخطى واثقة، تقدمت إلى كرسي وسط القوم، جلست بكل حذر لكن الكرسي ظل يئن حتى التفت جميع رواد المقهى. هناك وأنا أتامل رسوم الحنّاء على قدم ثلاثينية تحاول اجتياز الطريق، دخنت أول سيجارة من الصباح وتركت الدخان يغمرني بالانشراح والرضى.

من «دقيل» إلى أطراف «شارع ثلاثين»، رحلة طويلة، لم أقم بها منذ مدة طويلة. ذهبت اليوم كي يعرف حثالة «مقهى داوود» الكسول أنني شخص مهم ولدي أصدقاء يزورونني من فرنسا.

لن أطلب شيئاً، فالكسول يعرف أنني مدين له بخمسة عشرة فرنكاً لذا يتلكأ. ولو اعتمدت على صديقي، فإن هذا العجوز سوف يستغرق ساعة حتى تتمكن قدماه من الوصول.

(*) روائي تشادي، مقيم في أنجمينا. فازت روايته «زمن الملل» بـ «جائزة غسان كنفاني»، كما فاز بجائزة التميّز الأدبي عن روايته «ارتدادات الذاكرة»، وهي أرفع جائزة تقدمها وزارة الثقافة في تشاد. توّج بـ «جائزة ابن بطوطة لأدب الرحلة» سنة 2026 عن مخطوطة بعنوان «فوق الأهرامات وتحت القباب: يوميات بين القاهرة وإسطنبول». الفصل أعلاه مجتزأ من رواية «ثلاثية أنجمينا». الصادرة حديثاً عن «دار ديوان للنشر» في القاهرة.

تلّاف ـ من دون عنوان (زيت على قماش، 2022)

نص

علي

عبد الحليم فضل الله

يا فَتَى البَسْمَةِ والثَّغْرِ النَضِرْ
وَرَبِيعًا بَانَ فِي الوجهِ الأغرّ
وبهاءً لَاحَ مِنْ أَهْدَابِهِ
نَجْمَةُ الصُّبْحِ وَمِعْرَاجُ الْقَمَرْ
يَخْطُرُ الْبَأْسُ عَلَى أَعْتَابِهِ
وَيُنَادِيهِ إِذَا اشْتَدَّ الْخَطَرْ
أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ وَفِي
سُلَّمِ الآلَامِ لَحْنٌ فِيَّ وَتَرْ
إِذْ يَصِيرُ الْقَلْبُ كَهْفًا مِنْ شَجَى
وَيَضِيقُ الْعُمْرُ فِي كَفِّ الْقَدَرْ
تَعْبُرُ الْأُفْقَ فَيَنْسَابُ الصَّدَى
كَنَشِيجِ الْمُزْنِ فِي يَوْمِ الْمَطَرْ
لِعَلِيٍّ تَنْتَمِي، مِنْ دَمِهِ
دَمُكَ الزَّاكِي وَاسْمٌ وَأَثَرْ
وَجُرُوحٌ يُقْبِلُ الْمَجْدُ عَلَى
ضِفَّتَيْهَا فِي وُرُودٍ وَصَدَرْ
وَنَجِيعٌ فَاضَ حَتَّى امْتَلَأَتْ
قِرْبَةُ الضَّوْءِ بِأَجْفَانِ السَّحَرْ
وَجِيَاضٌ نَشْتَقِيهَا رُبَّمَا
ظَمِئَ الْمَاءُ فَيَرْوِيهِ الظَّفَرْ
ها أنا ألقاكَ والبدرُ ارتَدَى
نظرةَ المكلُومِ عندَ المنحدرْ
أحملُ الحزنَ على جُنحِ السُرَى
وأوَارِيهِ بوعْثَاءِ السَفرْ
وترانِيْ أُوصِدُ البَابَ وبِيْ
فِيْ ضَقِيعِ الهجرِ دِفْءٌ مستترْ
وتَرَانِيْ أجمَعُ الشَّوكَ وليْ
في دروبِ القَحْطِ رَوضٌ مزدهرْ
أو تَرَانِيْ أُهرقُ القلبَ، وقد
جَفَّ ضَرْعُ الليل، حتى ينفطرْ
وكأنّي أوقظُ الشَّمْسَ فَلا
يَنْجَلِي اللَّيْلُ ولا يَغْفُو البَصَرْ
وعلى كَفَّيْكَ يَنْسَابُ السَنَا
مُشْرِقًا والصُّبْحُ مَوفُورُ الصُّوَرْ
بَلْ تَرَانِيْ أَرْتَضِيْ مَا تَرْتَضِيْ،
مَوثِقَ الأَحْرَارِ فِيْ عَهدٍ وبِرّ
فخذ العهد وأرَحْ بِرَّهُ
بِدَمٍ الحُرِّ إِذَا سَالَ أَنْتَصَرْ

(2026)

لوحة «الشهيد» للفنانة صفية لطيف

جذور

شون هويت (*)

ترجمة حميد الشامي (**)

تُكَبِّرُ الرطوبةُ الباقيةُ من أحزان الغابة، وتستوطنُ تجاويف الجدران. للجدران قلوبٌ وملامح ها هنا، وللذاكرة عيون، الجدران التي تنهكها الحكايات القديمة مثلنا؛ المكابرةُ كي لا ندرك تقدُّمها في العمر بعيون مجرّدة، تخفي انحناءاتها خلف الرائحة وأنينَ الأخشاب ليلاً. الجدران التي بمجرد أن قشرنا ألواحها انهارت كعجائز تحت التعذيب، وأظهرت تلك البذور القديمة التي لم تتوقف عن النمو بداخلها، مثل روائحنا وضحكاتنا وأسرارنا. الجدران التي تموت الآن، بينما تتجول جيئةً وذهاباً مع نبيذك وخبزك، كانت ترتجف مثلك لثمانين عاماً على صينية بلاستيك. والآن ها نحن مع ظلالنا القديمة وجهاً لوجه، ننظر بمهابة لشيخوختها الأخيرة ونومئ برؤوسنا خجلين، ثم ندلق تحت أقدامها المرتعشة لتسامحنا، نغوص كما الأسماك في تجاويفها، نحاول أن نسندها، أن نستعيد شيئاً منّا من وصاياها الأخيرة، نحوطها بأذرعنا المتشابكة مع ضوء القمر كما يحوط غواصون هواة كنزاً منسياً في سفينة قديمة.

(*) شون هيويت (Seán Hewitt) شاعر وكاتب أيرلندي بارز، نال تقديراً نقدياً مهماً عن أعماله، ومن أبرزها: ديوان «لُغاتُ النار» الذي حصل على جائزة «إدوارد ستانفورد» لأدب الرحلة، كما تم إدراجه في القائمة القصيرة لـ «جائزة صنداي تايمز للكاتب الشاب».

(**) شاعر ومترجم يمني

ديوان «لُغاتُ النار» الذي حصل على جائزة «إدوارد ستانفورد» لأدب الرحلة، كما تم إدراجه في القائمة القصيرة لـ «جائزة صنداي تايمز للكاتب الشاب».

نسوية

حين يصبح الجسد الأنثوي أرشيفاً للتاريخ

يستعيد كتاب «الحضور: تاريخ خفي للجسد الأنثوي» للمؤرخة الأميركية إيرين ماجلاك تاريخ النساء في أوروبا بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، عبر تفاصيل الجسد والعمل اليومي، من الحمل والرضاعة إلى رعاية المحتضرين والموت، متسائلاً: كيف نقرأ تجارب الماضي من دون إسقاط مفاهيم الحاضر عليها؟ وأيّ تاريخ تصنعه الأعمال اليومية المنسية؟

سلوى دبوق

كيف يمكن كتابة تاريخ النساء من دون اختزال أجسادهن في ما قالته عنهن المؤسسات الطبية والدينية والقانونية؟ وكيف يمكن الاقتراب من تجارب نساء عشن قبل قرون، بينما ترك معظمهن وراءهن وثائق قليلة، في حين تولى الرجال غالباً تسجيل أجسادهن ووصفها وتأويلها؟

من هذه الأسئلة تنطلق المؤرخة الأميركية إيرين ماجلاك في كتابها «الحضور: تاريخ خفي للجسد الأنثوي» (Presence: A Hidden History of the Female Body) الصادر أخيراً عن دار «بينغوين بوكس» في المملكة المتحدة، لتُقدّم قراءة مختلفة لتاريخ النساء في أوروبا بين القرنين السادس عشر والثامن عشر.

لا تبحث ماجلاك عن النساء في سجلات الحروب والقصور، بل في تفاصيل الحياة اليومية: الطعام، الحمل، الإجهاض، الولادة، النوم، الرضاعة، الرغبة، العمل المنزلي والموت. تكمن إشكالية الكتاب الأساسية في السؤال الآتي: كيف يمكن استعادة التاريخ الحسي للجسد الأنثوي من دون أن تتحول تجربة المؤرخة المعاصرة إلى عدسة تسقط مفاهيم الحاضر على نساء الماضي؟

الجسد الأنثوي بين المسامية والرقابة

ترى ماجلاك أنّ الجسد الأنثوي لم يكن يُفهم في أوروبا الحديثة المبكرة بالطريقة التي نفهمه بها اليوم. كان الجسد يُتصوّر أكثر «مسامية»، أي مفتوحاً على تأثيرات الطعام والهواء والروائح والمناخ والرغبة والخيال والمحيط الاجتماعي. لم تكن الحدود بين الداخل والخارج واضحة، كما لم يكن الفصل بين العقل والجسد حاسماً بالدرجة التي ستترسخ لاحقاً مع الحداثة.

تُظهر قصة الرضاعة بوضوح حجم الاختلاف بين الماضي والحاضر. في فرنسا، كان من الشائع لدى الأسر الثريّة، بل وحتى لدى بعض أسر الطبقة الوسطى، إرسال الأطفال إلى مرضعات في الريف خلال السنوات الأولى من حياتهم. كان الطفل يغادر منزل أسرته ليعيش لدى المرضعة التي تتولى رعايته، وقد يستمر غيابه سنوات. تبدو هذه الممارسة غريبة جدًا وفق مفهوم الأمومة المعاصر، حيث يرتبط حضور الأم الجسدي ارتباطًا وثيقًا بصورة الرعاية الطبيعية. لكنها تكشف أنّ مفهوم الأمومة نفسه تاريخي ومتغير، وأنّ الرضاعة لم تكن دائماً فعلاً عاطفياً خاصاً بالأم، بل كانت أيضاً عملاً اقتصادياً تؤديه امرأة أخرى مقابل أجر. تكشف المعتقدات المتعلقة بالمرضعات عن تصوّر آخر للجسد. اعتقد بعض الناس أنّ صحة المرضعة ومزاجها يمكن أن ينتقلا إلى الطفل عبر الحليب، كأن جسدها يحمل صفاتها إلى جسد آخر. تبدو هذه الفكرة غريبة اليوم، لكنها كانت منسجمة مع تصور يرى الأجساد مفتوحة على بعضها وقابلة للتأثر المتبادل.

تتناول ماجلاك كذلك تحولات فهم الحمل والجنين والجنس والإجهاض. لم يكن مفهوم الحياة داخل الرحم ثابتاً، كما لم تكن تصورات المتعة الجسدية ودور المرأة في الحمل واحدة عبر القرون. هذه المفاهيم تغيرت مع التحولات الدينية والطبية والعلمية، خصوصاً في القرن الثامن عشر، حين أخذ الجسد يخضع بدرجة أكبر للقياس والتصنيف والانضباط.

هنا تتبلور إحدى أهم أفكار الكتاب: ما نعدّه طبيعياً في الجسد الأنثوي ليس دائماً حقيقة ثابتة خارج التاريخ. الطريقة التي تنظر بها المرأة إلى جسدها تتأثر بالمجتمع والثقافة والطب والقانون، مثلما تتأثر بالتجربة الشخصية.

العمل اليومي الذي صنع تاريخ النساء

تنقل ماجلاك التاريخ من الأحداث الكبرى إلى الأعمال الصغيرة التي حافظت على استمرار الحياة. الطبخ، والغسيل، ورعاية الأطفال، والتمريض، وتغيير الأغطية، والعناية بالمحتضرين، وغسل الموتى، كلها أعمال جسدية شاقة ارتبطت تاريخيًا بالنساء، لكنها بقيت غالبًا خارج السرديات التاريخية الكبرى.

تكتسب هذه الفكرة أهمية خاصة في حديث الكاتبة عن الموت. كان الموت في المجتمعات الأوروبية السابقة للحداثة يحدث غالباً في المنزل، وكانت النساء يسهرن إلى جانب المحتضر، ويُغيرن ملابسه وأغطية سريره، ثم يغسلن جسده بعد الوفاة ويلففنه بالكفن ويجهزنه للدفن. هكذا يصبح الموت امتداداً للعمل المنزلي الذي رافق المرأة طوال حياتها. اليد التي تعتني بالطفل يمكن أن تغسل الميت، والكتان الذي يلف جسد الوليد قد يصبح كفنًا لجسد آخر. تقدم هذه التفاصيل مفهوماً مهماً هو «العمل غير المرئي». لم يتشكل الجندر من خلال القوانين والخطابات وحدها، بل من خلال آلاف الأعمال اليومية المتكررة التي وُضعت على عاتق النساء. تاريخ الغسيل والرضاعة ورعاية المرضى ليس هامشياً، بل يكشف عن علاقة عميقة بين الجسد والعمل والسلطة.

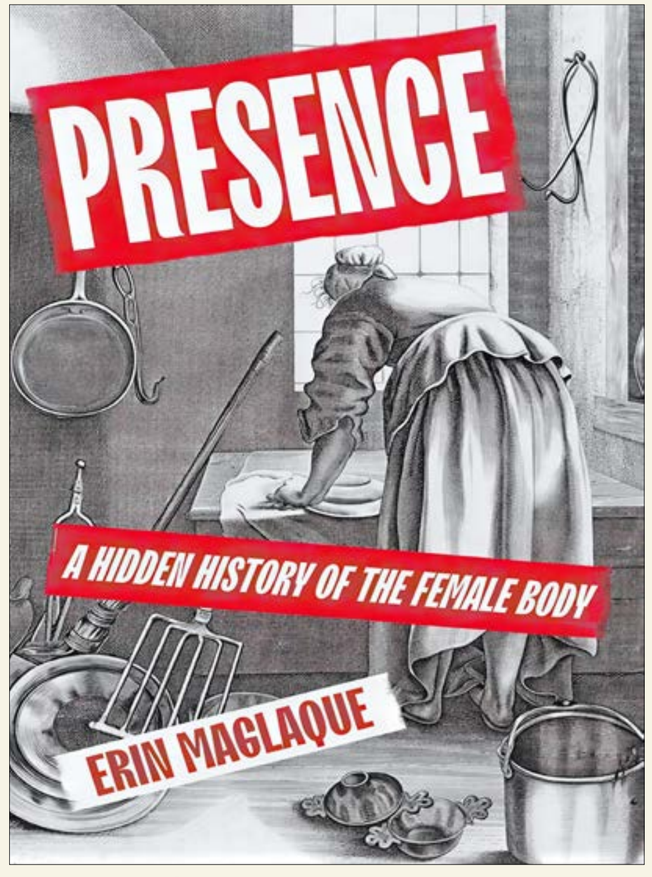

حمل امرأة في القرن الحادي والعشرين يختلف جذرياً عن حمل امرأة في القرن السابع عشر

تستعيد مجالك أيضاً بعض ممارسات سحر الحب والرغبة، لتظهر أن النساء لم يكنّ مجرد كائنات سلبية خاضعة للسلطة. استخدمت بعضهن أدوات بسيطة من الحياة المنزلية في محاولة للتأثير في الرجال وامتلاك قدر من الإرادة داخل نظام ديني واجتماعي يُقيّد خياراتهن.

تكمن جاذبية الكتاب في قدرته على تحويل التفاصيل اليومية إلى وثائق تاريخية: وصفة، أو قطعة قماش، أو سجل ولادة، أو شهادة امرأة أمام محكمة، يمكن أن تكشف عن عالم كامل. هذه الطريقة تمنح النساء العاديات مكاناً داخل التاريخ بعدما ظل اهتمام المؤرخين طويلاً منصباً على الشخصيات والأحداث الكبرى.

بين التاريخ والسيرة الذاتية: قوة الكتاب وحدوده

يتميّز الكتاب بحضور مؤلفته داخل النص. تستدعي ماجلاك تجاربها المتعلقة بالحمل والولادة والإجهاض والرضاعة ومرافقة جدتها المحتضرة، لتقترب من أجساد النساء في الماضي. تمنح هذه الطريقة الكتاب حساسية إنسانية واضحة، وتُحرّره من لغة التاريخ الجامدة. يشعر القارئ أن الجسد ليس مفهوماً نظرياً، بل تجربة من الألم والتعب واللمس والرغبة والخوف.

هذه المقاربة تحمل قيمة منهجية أيضاً، لأنها تُشكّك في فكرة الموضوعية المطلقة. المؤرخ لا يدخل الأرشيف بلا أسئلة أو حساسيات، بل يقرأ الماضي انطلاقاً من موقعه الخاص. استخدام التجربة الجسدية يمكن أن يصبح وسيلة لإعادة طرح أسئلة لم تكن المصادر التقليدية تسمح بطرحها.

مع ذلك، يمثل هذا الجانب إحدى نقاط الضعف في الكتاب. قد يشعر القارئ أحياناً بأن السيرة الذاتية تطغى على المادة التاريخية، خصوصًا حين تتكرر الإشارات إلى تجربة المؤلفة الشخصية. القارئ الذي يبحث عن تاريخ موثق للجسد الأنثوي قد يجد نفسه أحياناً راغباً في العودة إلى الوقائع التاريخية بدل متابعة التأملات الذاتية.

تظهر مشكلة أخرى في محاولة استعادة المشاعر الداخلية لنساء الماضي. التشابه البيولوجي لا يعني تشابه التجربة. حمل امرأة في القرن الحادي والعشرين، وسط الطب الحديث، يختلف جذرياً عن حمل امرأة في القرن السابع عشر داخل منظومة دينية واجتماعية وطبية مختلفة. لذلك، يمكن أن تتحول تجربة المؤلفة، في بعض المواضع، من أداة لفهم الماضي إلى وسيلة لإسقاط الحاضر عليه. كما أن بعض القراء قد يجدون الكتاب أقل كثافة مما يتوقعونه من دراسة تاريخية أكاديمية، خصوصًا من ناحية التوثيق والتفصيل.

مع ذلك، تظل قيمة «الحضور» واضحة، فالكتاب لا يدّعي امتلاك تاريخ نهائي للمرأة، بل يقترح طريقة جديدة لكتابته. إنه يدعونا إلى النظر إلى الجسد بوصفه مصدرًا تاريخيًا، وإلى اكتشاف السياسة والسلطة في أكثر الأفعال اليومية بساطة.

في النهاية، تكمن قوة إيرين ماجلاك في أنها تجعل التاريخ يُرى من خلال الجسد: اليد التي تطبخ وتغسل، والجسد الذي يحمل ويلد ويرضع، والمرأة التي تعتني بالمحتضر وتغسل الميت. قد لا ينجح الكتاب دائمًا في الفصل بين تجربة المؤلفة وتجارب النساء اللواتي تدرسهن، لكن هذه المجازفة نفسها تفتح سؤالًا بالغ الأهمية: كم من تاريخ النساء بقي صامتًا لأن المؤرخين بحثوا عن أصواتهن في الوثائق، ولم يبحثوا عنها في آثار أجسادهن وأعمالهن اليومية؟ بهذا المعنى، يصبح «الحضور» محاولة لاستعادة ذلك التاريخ الغائب، وإعادة الجسد الأنثوي إلى قلب الحكاية التاريخية.

اقتصاد

لم يعد تغيّر المناخ قضية بيئية فحسب، بل قوة تعيد رسم خريطة الاقتصاد العالمي. في «خطوط الصدع المناخي»، يتتبع الكسندر غازماراريان وهيلين ميلنر كيف تدفع الحرارة المتصاعدة الاستثمارات والإنتاج والثروة شمالاً، فيما تتفاقم خسائر الجنوب، فاتحة الطريق أمام تفاوتات وتحالفات وصراعات جديدة قد تغيّر موازين القوة في عالم يزداد احترارا

المناخ يعيد رسم خريطة الرأسمالية

سعيد محمد

يقدّم كتاب «خطوط الصدع المناخي: الاقتصاد السياسي الجديد لعالم يزداد احتراراً» (منشورات جامعة برينستون، 2026)، للباحثين الكسندر غازماراريان وهيلين ميلنر، قراءة مادية تاريخية معمّقة للتحولات البنيوية الجسيمة التي تعيد، تحت ضغط الأزمات البيئية المتسارعة، رسم خريطة الاقتصاد السياسي العالمي، ويضع الاحترار المناخي في قلب تلك التحولات بوصفه قوة مادية فاعلة تعيد توجيه السياسات الدولية، وتوزيع الثروة والسلطة، وترسم خطوطاً جديدة للصراع الاقتصادي والجغرافي بين الدول والمجتمعات.

يتجاوز هذا العمل الأكاديمي الرصين التفسيرات المثالية المعتمدة على النوايا الإنسانية المعلنة أو الوعود الدبلوماسية الفضفاضة ليغوص عميقاً في التناقضات المادية الحادة التي يفرضها الاحتباس الحراري على قوى الإنتاج وعلاقاته الأساسية، مفككاً الكيفية التي تعيد بها الطبيعة المأزومة فرض شروطها القاسية على تراكم رأس المال وتوزيع الثروات عبر القارات المختلفة بطريقة تعمق التفاوتات التاريخية المتجذرة وتخلق محاور استقطاب بأسس مناخية بحتة.

يبرهن الباحثان أن التغير المناخي يمثل الحد المادي الأقصى للتوسع الرأسمالي، حيث بدأت العواقب الفيزيائية للتدهور البيئي بضرب صميم البنية التحتية للإنتاج العالمي، مجبرة كافة الفاعلين من دول وشركات كبرى على إعادة صياغة استراتيجيات بقائها الاقتصادي والسياسي استجابة لهذه التحولات العنيفة، مقتربة بذلك من المفهوم التحليلي للصدع المتفاقم بين النشاط البشري والقدرة الاستيعابية لكوكب الأرض.

خط الصدع بين الشمال والجنوب

يتمحور الكتاب حول مفهوم «خط الصدع المناخي»، وهو تقسيم جغرافي صلب يتموضع تقريباً عند خط العرض الخامس والثلاثين، ليقسم الكوكب إلى مناطق استغلال متضررة بشدة تقع جنوب هذا الخط، ومناطق شمالية باردة مرشحة لجني أرباح اقتصادية صافية من ارتفاع درجات الحرارة العالمية وانزياح الكتل الإنتاجية نحوها. ينسجم هذا الطرح الجغرافي تماماً مع التحليل المادي لآليات التطور المتفاوت، حيث يعيد المناخ اليوم رسم حدود «المركز» و«الأطراف» بناءً على قدرة الجغرافيا المادية على استيعاب الصدمات الحرارية وحماية البنية التحتية الرأسمالية من الانهيار التام. تُسقط هذه التحولات المادية الجيولوجية دول الجنوب العالمي في مزيد من الإفقار واستنزاف الموارد وتضرب قواها الإنتاجية في مقتل نتيجة تخريب القطاعات الزراعية والصناعية، بينما تتيح لدول الشمال فرصاً تاريخية لتوسيع هيمنتها حين تتكفل الخسائر المادية المباشرة في المتلكات وتراجع معدلات الأرباح وتدمير البنى التحتية بخلق إدراك جمعي حاد بضرورة التحرك العاجل والملموس. ويتحول الوعي بالمخاطر المناخية في هذا السياق من مجرد نقاش تنظيري تمارسه النخب في صالوناتها المغلقة إلى ضرورة بقاء وجودية تفرضها ظروف الإنتاج المأزومة وتوقف عجلات المصانع المتكرر. أمر سيدفع الطبقات العاملة والفئات المتضررة إلى السعي الدؤوب إلى تعظيم الأرباح وتجنب التكاليف الإضافية بكافة السبل المتاحة، اقتصار الدول والشركات الكبرى

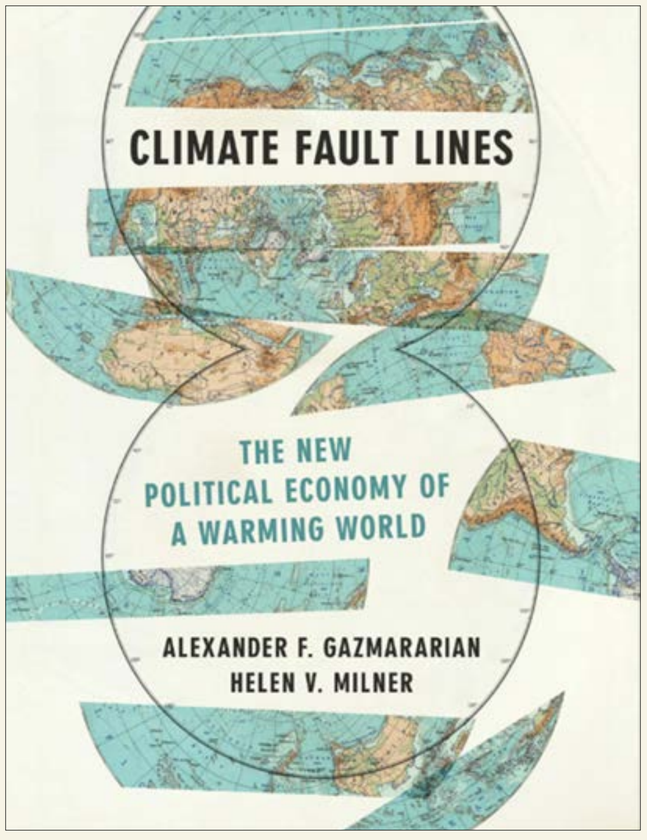

سيشهد المستقبل صراعات عنيفة للسيطرة على الموارد الحيوية

المكاني، يتناول الكتاب مسألة تشكل الوعي البيئي والسياسي لدى الأفراد والكيانات، مؤكداً أن الاستجابة الحقيقية للأزمات المناخية تنبع حصراً من التجربة المادية المباشرة والمعاناة الواقعية الناتجة من الكوارث الطبيعية كالجفاف والفيضانات وموجات الحر الكارثية. ويؤكد هذا الاستنتاج المبدأ الفلسفي القائل إن الوجود المادي يسبق الوعي الاجتماعي ويحدده، حيث تعجز التقارير العلمية التجريدية والتحذيرات المستقبلية عن تحريك الجماهير أو التأثير في قرارات أصحاب رأس المال الموجهة نحو تعظيم الربح السريع، في المناطق الآمنة موقف المعارض الشرس لتمرير أي تشريعات بيئية مكلفة قد تقتطع من هوامش أرباحهم المتراكمة أو تحد من قدرتهم التنافسية في السوق المفتوحة. تفسّر الديناميكا الأساسية للنظام الرأسمالي المتمثلة في السعي الدؤوب إلى تعظيم الأرباح وتجنب التكاليف الإضافية بكافة السبل المتاحة، اقتصار الدول والشركات الكبرى في المناطق الشمالية على تبني بعض التشريعات الخضراء عندما تتقاطع هذه التشريعات مع مصالحها الاقتصادية المباشرة فحسب، كما في فتح أسواق استهلاكية جديدة لتكنولوجيا الطاقة المتجددة أو خلق قطاعات تراكمية جديدة كلياً تعيد إنتاج الأرباح تحت مسميات الاستدامة والاقتصاد الأخضر هرباً من تقلبات السوق العالمية التقليدية.

تتسع دائرة التحليل المادي في هذا العمل لتشمل استجابات الكيانات المؤسسية الكبرى وأجهزة الدولة السيادية للتهديدات المناخية المتصاعدة، حيث يرصد لجوء الشركات المهددة بالتغير المناخي إلى توظيف آليات الضغط السياسي المكثف لتوجيه الموارد الحكومية الشحيحة نحو حماية مصالحها واستثماراتها المعرضة لخطر الزوال. ويعكس هذا التوجه السافر العلاقة العضوية والارتباط الوثيق بين رأس المال المهيمن وجهاز الدولة التشريعي والتنفيذي، حيث تعمل الجهات الرأسمالية المتضررة مناخياً على تطويع القوانين وتوجيه الدعم المالي العام لتمويل مشاريع التكيف الخاصة بها، محولة بذلك تكاليف الأزمة المناخية الباهظة إلى عبء ثقيل يتحمله المجتمع بأسره عبر زيادة الضرائب المباشرة والاقتطاع من الإنفاق الحكومي المخصص للخدمات الاجتماعية الأساسية. وغالباً ما تتجاوب الحكومات المحلية والوطنية، خصوصاً في الديمقراطيات التابعة لمناطق الضرر المناخي، مع هذه الضغوط المزدوجة القادمة من أصحاب العمل المتنفذين والطبقات العاملة المتضررة التي فقدت مصادر رزقها المستقرة، مسارعة إلى إقرار حزم سياسات تهدف في الأساس إلى ضمان استمرارية دوران عجلة الإنتاج الرأسمالي وتجنب الانفجارات الاجتماعية العنيفة التي قد تعصف بالاستقرار السياسي والأمني المؤسس للنظام الرأسمالي القائم، مؤكدة المقولة التاريخية بأن مؤسسات الدولة تعمل كأدوات طيعة لإدارة المصالح المشتركة للطبقات المهيمنة وتأمين مسارات تراكم ثرواتها.

خريطة جديدة للصراع العالمي

يصل الكتاب إلى استشراف الانعكاسات الجيوسياسية الخطيرة لهذه التحولات المادية العميقة، متوقعاً بروز انقسامات عالمية جديدة تنسف التحالفات السياسية المألوفة وتعيد هندسة النظام الدولي الهش وفقاً لخرائط الضعف والقوة المناخية المستحدثة، لتتلاشى الاصطفافات القديمة المبنية على أسس أيديولوجية أو جغرافية كلاسيكية لصالح تكتلات براغماتية جديدة تجمع الدول المتضررة من الجنوب العالمي وبعض أجزاء الشمال المتأثرة في جبهة مصلحية واحدة تطالب بإعادة توزيع الأعباء المادية العالمية وتقليص الانبعاثات الكربونية المدمرة لاقتصاداتها الهشة. وستصطدم هذه المطالب العادلة بالتصلب المتعنت للدول الكبرى المستفيدة مناخياً، والتي تسعى جاهدة إلى توظيف تفوقها الجغرافي والبيئي الجديد لتعزيز هيمنتها الإمبريالية وفرض شروط اقتصادية قاسية على الدول المستضعفة مقابل تقديم فتات التكنولوجيا الخضراء أو القروض المالية المشروطة بالتبعية الكاملة. ويمهد هذا الصدام المادي المباشر الطريق لحقبة قادمة من الصراعات العنيفة الهادفة للسيطرة على الموارد الحيوية النادرة والمساحات الجغرافية الآمنة الصالحة للحياة والإنتاج الزراعي والصناعي، محولاً الأزمة المناخية إلى ساحة حرب اقتصادية شاملة تعيد رسم تراتبية الهيمنة العالمية وفقاً للقدرة الصرفة على تحمل درجات الحرارة المتطرفة والنجاة من تداعياتها الكارثية المحتومة.

«خطوط الصدع المناخي» إسهام فكري بالغ الأهمية لفهم التناقضات المعاصرة التي تعصف بأساسات النظام الاقتصادي العالمي، والديناميكية التي تعيد بها القوى الطبيعية المتغيرة تشكيل البنى التحتية والأسس المادية العميقة للإنتاج الرأسمالي المعولم والمأزوم هيكلياً، إذ يفرض المناخ المتغير نفسه كقوة مادية قاهرة تعمق الاستقطاب الطبقي داخل المجتمعات وتكرس التفاوت الجغرافي بين الأمم والشعوب، دافعاً التناقضات الهيكلية المتراكمة للنظام العالمي نحو مراحل متقدمة من التأزم والاحتقان الشديدين، ما يؤكد الحقيقة التاريخية التي تفيد بأن مستقبل التطور البشري ومآلات صراعاته السياسية والاقتصادية تبقى مرتهنة بالتحولات البيئية العنيفة وقدرة الفاعلين الماديين على تكييف أدواتهم الإنتاجية مع واقع مناخي يزداد قسوة وشراسة يوماً بعد يوم.

أوراق

أبوكاليبس جزائري

خالد بن صالح *

في سنة 1954، وقبل أشهر قليلة من اندلاع ثورة التحرير الجزائرية، أصدر الروائي محمد ديب (1920-2003) الجزء الثاني من ثلاثيته الشهيرة بعنوان «الحريق»، وهي الرواية التي جاءت بعد «الدار الكبيرة» (1952)، وقبل «النول» (1957). وفيها أي «الحريق» تمسي المعاناة فتيلَ ثورة قادمة، شرارةً تنبعث من الرماد لتُشعِل ثورة. إنها النارُ وقد التهمَت إلى جانب المحاصيل كلّ حجّةٍ للخضوع، كلّ إحساسٍ بالخوف. النارُ هنا تعريةٌ للقهرِ، انبعاثٌ يُضيء دربَ الحرّية، لأنّ المحنة وحدها ما يكشفُ جوهر الإنسان. وإذا كانت نبوءة ديب قراءة واقعية للغضب الشعبي وثورة الفلّاحين ضدّ إقطاع المستعمر الفرنسي آنذاك، فإنها في الذاكرة الجزائرية مرآة لمراحل ومحطّات زمنية لم تنقطع فيها المأساة، ولم ينتهِ في أيٍّ منها تاريخُ الألم.

في سنة 1995، وفي حوار متلفز للروائي الطاهر وطّار (1936-2010)، قال إن أكثر ما يجمع الجزائريين هو «الانصهار في تاريخ طويل من الآلام»، وإن شخصية «اللاز» (1974)، عنوان واسم بطل روايته الأشهر، ترمز للشعب الجزائري بكل ما فيها/وفيه من متناقضات. «اللاز» هي أيضاً ثاني رواية تصدر باللغة العربية بعد رواية «ريح الجنوب» للكاتب عبد الحميد بن هدّوقة (1926-1996) التي صدرت قبلها بثلاث سنوات فقط، ولكنها من الروايات الأولى التي اخترقت طابو التاريخ.

رفضت دورُ نشرٍ سورية ولبنانية نشر «اللاز» على اعتبار أنها تسيءُ للثورة الجزائرية وستُمنَع وتُصادَر في بلد الكاتب؛ لتُنشر في الجزائر ومن قِبل المؤسسة الرسمية بالخطأ أو ربّما من خلال حيلة بريئة! ليُمرِّر وطّار في باكورته الروائية موقفه من قضية تصفية محام ومناضل يساري جزائري برصاص رفاقِه في «القيادة». وهو احتجاجٌ أدبي - مبنيٌّ على وقائع تاريخية - على اغتيال مناضلين يساريين أثناء الثورة. ليبدو في الأخير أن البطل الحقيقي للرواية هو «زيدان» المغتال، وليس ابنه «اللاز» الذي يتعرّض لصدمة نفسية عنيفة جرّاء هذا الاغتيال، يفقد بسببها ذاكرته، إلّا من عبارة شعبية واحدة يظلّ يكرّرها عبر صفحات الكتاب كلازمة: «ما يبقى في الواد غير حجارُو».

في 26 آب (أغسطس) 2026 اندلعَ نحو 150 حريقاً متزامناً، عبر ولايات ساحلية شرق ووسط البلاد هي جيجل، بجاية، تيزي وزو، وسكيكدة. وخلال الأسبوع، اتّسعت رقعة حرائق الغابات باتجاه ولايات قسنطينة، قالمة، وسطيف؛ في موجةِ حرائق هي الثانية خلال عام بعد تلك التي شهدتها الولايات الشرقية نهاية تموز (يوليو) الماضي، مخلفةً – هذه المرّة - عشرات الضحايا. مشاهد مرعبة حاصرت فيها النيرانُ قرىً بأكملها، أشجارٌ تحترق ومعها تُدمّر بيوتٌ ومزارع وحقول، بقمحها وزيتونها وثمارها. حيواناتٌ أليفة وبرّية تحوّلت إلى جيف تملأ الشوارع والإسطبلات المتفحّمة. والأكثر من ذلك؛ الإنسان الذي تعرّض لمحو مؤلم تختنقُ جرّاءه الأنفاسُ وتفقدُ الأجسادُ ملامحها وتتفحّم وهي تعانق بعضها بعضاً. ثمن باهظ دفعه معتنقو الجبال والمناطق العالية التي كانت قبل ساعات قليلة جنّاتٍ صغيرة لأصحابها، على الأغلب بسبب عدم الاستعداد وغياب الإنذار المبكّر وتذبذب استراتيجية التدخل السريع والتعامل بجدية مع توقعات الطقس التي حذّرت من موجات حرّ غير طبيعية، قبل أن تخرج الأمور عن السيطرة مع هبوب رياح قوية سرّعت في انتشار النيران. وفي سردية أخرى بسببِ أيادٍ «غامضة وشريرة» يبدو أنها – وإن كانت موجودة - أطول من اللازم!

إنّه أبوكاليبس جزائري في صيف 2026.

في محنةِ الحرائق التي شهدتها الجزائر، ومنذ اليوم الأول لم أكنْ لأملكَ القدرة على مشاهدة الصور والفيديوهات و«اللايفات» التي كانت تُشعل الشاشات بخلفية حمراء مُلتهبة في مواقع التواصل الاجتماعي - دون أيِّ وسيلةٍ إعلامية أخرى – شاشاتٌ تحتلّها النيران والصرخات والدخّان والسعال. من بعيد، كنتُ أتابع المستجدات بما يُكتب. ورغم ذلك تتحوّل المشاهد اللّامرئية، كما الكلمات الجافّة على الورق، إلى كوابيس تُمدِّد ساعاتِ ليلِ شاعرٍ أرِق لا يملكُ إلّا أن يفتح عينيهِ، على ضيقِهما، ليتأمّل عتمة السقف الواطئ.

قبل القيامة بليلةٍ واحدة، كنتُ أحتفل بعيد ميلادي، وبترجمةِ كتابي الثاني «مائة وعشرون متراً عن البيت» إلى الإيطالية. كتابٌ صدر سنة 2012 وأقمتُ فيه احتفاليةً صاخبةً للموت بكلّ أشكاله، حتّى أني مع اندلاع الحرائق تذكّرتُ هذا المقطع الذي تضمّنه نصّ «الاعترافات الأخيرة لعائد من القبر»:

«دعيني أزيحُ عن عينيكِ الناعستين خصلةَ الشعر هذه، انظري جيداً في عينيّ، ماذا ترين؟ لن أغضب تكلّمي بكل حرية... ويسعدني أن أسمعك تُتمتمين: أرى جرذاناً مذعورة تجري في كلّ الاتجاهات، يطاردها أناس جائعون. أرى ضفادعَ مفقوءة الأعين تقفز في النار، ثم تُلتهم دفعة واحدة. أرى أشجاراً تحترق وتبحث عن الإيقاع لترقص رقصتها الأخيرة. أرى حناجر مُتعفنة بأصوات مبحوحة تبحث عن صداها الأول. أرى طرقاً تتلوّى، مصابيح تنطفئ تباعاً، وشموعاً تحتضر...»

يا لها من عتمة!

في شهادته المنشورة في مجلة «الثقافة»، يروي المناضل والسياسي عبد الحميد مهري (1926-2012) أن بعض المثقفين الجزائريين في العاصمة كانوا يتداولون أعمال محمد ديب ويناقشونها في «اللقاءات السرية» التي كانت تُعقد قبل اندلاع ثورة نوفمبر (1954-1962)، معتبرينَ «الحريق» نصّاً سردياً استشرافياً كشفَ الوجه الحقيقي للاستعمار قبل أن تنفجر البنادق. وبين الأدب والواقع حكاياتٌ لا تنتهي عن البلاد التي لم تخسر هكتارات من الأشجار إلّا لتُبعث من رمادها، كفعل مقاومة ممتدّ في الزمن. وفي «اللاز» يكشف الطاهر وطّار أن «زيدان» هو ابن الشعب الجزائري، وأن الشعب بكل أساطيره وحكاياته وانتصاراته وخيباته، هو من كتبَ الرواية في النهاية، تماماً كما يكتبُ اليوم ملحمةً إنسانية للتضامن، تعجزُ الكلمات عن وصفها، ففي الأخير وحده الشعب كما قالَ «عمّي الطاهر»، مرّة أخرى، يعرف كيف يتقاسم الألم!

> مشاهد مرعبة حاصرت فيها النيرانُ قرىً بأكملها

في التراجيديا التي عاشها الجزائريون، تبدّى إيمانٌ راسخٌ بالنهوض من جديد، ولطائر الفينيق أن يمسي جزائرياً وهو يستعيدُ قدرته على المحاولة. ميثولوجيا الحضارات القديمة، كما الوقائع العجيبة أحياناً، تثبتُ أنه الطائرُ الذي يولد من رمادِ احتراق جسده. ها هي أمٌّ فقدت كلّ شيءٍ تُجازي من قدّم لها المساعدات بقنينة من زيت الزيتون، كأغلى ما تملك وما تبقّى من ذاكرة أشجارها المحترقة. وها هو ذلك الرجل الجنوبي القادم من عمق الصحراء، ماسحاً المسافة التي تجاوزت الـ 2200 كلم، حاملاً معه ما جادت به عطايا الناس إلى أهله في الشمال، مخفياً دهشته بالبحر الذي يلامسُ مياهه المالحة لأوّل مرّة في حياته. وها هو رفيقه الآخر يطلق عبارة عفوية، تجسّد بصدقها السخيّ معنى أن يتقاسم الجزائريون آلامهم: «رانا كي العين واليد، إذا دمعت العين تمسحها اليد، وإذا تعبت اليد تبكي عليها العين».

في كل مأساة وكارثة، نحترق وتحترق ذاكرتنا التي تستحيلُ معها الأسئلة الحقيقية رماداً!

إنه اختبارُ الزمن، وطريقة أخرى لتفكيك الكارثة ومحاولة تركيبها أدبياً. وعكس ذلك أهربُ بعجزٍ متأصّل إلى الكتب، إلى قراءاتٍ مؤجّلة وإحالاتٍ ما أفتأ أنصهر من خلالها في تاريخ الألم الجزائري الخالص. وفي عزّ القيظ والحرائق والرماد واللاجدوى، أغرق في قراءة دراسة صامويل بيكيت المبكرة عن وبعنوان «بروست» (1931)، والتي لم تُترجم من الإنكليزية إلى الفرنسية إلّا بعد وقتٍ طويل من كتابتها (الطبعة الأولى صدرت عن منشورات «مينوي » بعد عام من وفاة بيكيت 1990). دراسةٌ موجزة ومكثفة تركز أساساً على العمل الأشهر لبروست «بحثاً عن الزمن المفقود»، وكيف أصبحت تلك «المرافقة» الفلسفية التجريدية مشهورة وذائعة الصيت، وتخصّ بيكيت دون غيره في قراءته لبروست، متناولاً موضوعات الذات والذاكرة والزمن، وصائغاً بقسوة ربما، منظوره الخاص للحياة والفن والأدب واللغة. أكثر ما جذب انتباهي في هذا «الكُتيّب» الذي ألّفه صامويل بيكيت وهو شاب عشريني مقيم في باريس واعتبره مليئاً بـ «المصطلحات الفلسفية الرخيصة البراقة»؛ هو طريقة تعامله القاسية أيضاً مع كتاباته الأولى، أو «طيوره القبيحة» التي لها أن تحلّق بعيداً عنه بعد نشرها، وتمسي: «صفحات مطويّة، آثارَ زوابع رملية».

لعلّني أنحاز لاعتبار الكتابة في شكلها الخام والحيّ «زوبعة رملية»، كوني ابن منطقة شبه صحراوية، تقع بين البين، بين التل والصحراء، خط فاصلٌ لا يحتاج إلى توصيفات حاسمة، لأن مع الزوابع الرملية، هناك أيضاً الأمطار والثلوج والأعاصير.

وما بين الرمل والغابة قصصٌ تطفو إلى السطح وحكاياتٌ تستحقّ أن تُكتَب قبل أن تحترق أو تتلاشى أو تُطوى وتتلف كصفحات ممزّقة من كتاب قديم. وفي انتظار غودو ما، أتمسّك كشاعر يكتب مرثيّاتٍ تُطيل من شقاءِ الموتى، بـ «الكلمة» التي تُحوّل القلب المكسور في عالمٍ شرس إلى قلب شرس في عالمٍ مكسور. فآخر ما كتبه هذا الروائي والشاعر والمسرحي العبثي كان قصيدة بعنوان مُرعب: «ما الكلمة؟».

*روائي جزائري